الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

الأخلاق مبرهنة بالطريقة الهندسية عند سبينوزا

مذكرة مكمّلة من مقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبة:
هاشمي حنان

إشراف الأستاذ:
د. أحمد حسن

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع:

الأخلاق مرهونة بالحرية البند سنة عند سبنوزا

إعداد الطلبة:

1- هاشمي حنان رقم التسجيل: 2020350841360

2- رقم التسجيل:

القسم: فلسفة **الشعبة:** فلسفة **التخصص** فلسفة عامة

إشراف: أ.د حسن أستاذ باحث **الرتبة:**

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

بالموافقة
د. أ. حسن

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

د. ارزيق علي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2025

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي (ة) ادناه :

السيد(ة): هاشمي حنان

الصفة (طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 200327123

الصادرة بتاريخ: 2025/09/09 عن دائرة: بلدية مسيلة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الإسلامية والاجتماعية قسم: الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 202035081360

والمكلف بإنجاز اعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه).

عنوانها: الأخلاق مبرهنة بالهندسة عند سبينوزا

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: مسيلة

امضاء المعني (ة):

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.






بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:105).

أهدي هذا العمل، ثمرة سنوات من السعي والتأمل والتعلّم، إلى أولئك الذين كانوا النور في دربٍ طويل، والصوت حين يصمت التعب، والسند حين تضعف الخطى.

إلى والدي العزيز:

يا من كنتَ لي المعنى الأعمق للثبات، والصبر، والكرامة، تعلمتُ منك أن الفكر لا يثمر إلا على أرض من تعبٍ وشرف، وأن الصمت أحيانًا أبلغ من كل بيان.

وإلى والدتي الحنونة:

يا من سقيتِ قلبي بالدعاء، وعقلي بالطمأنينة، وروحي بالصبر، كنتِ الوطن الذي لا يُغادرني والمعين الذي لا ينضب.

وإلى أستاذي الفاضل الدكتور أحمد حسن:

لك أرفع شكري وتقديري، فلولا إشرافك الكريم، وتوجيهاتك الراقية، وصبرك الأكاديمي ما اكتمل هذا الجهد بالشكل الذي هو عليه.

وإلى إخوتي وأخواتي:

أنتم الامتداد النقيّ لروحي.

وإلى جامعتي: التي كانت لي بيتًا للفكر، وساحة للحوار، ومنارة للسؤال.

وها أنا أصل إلى ختام هذا الإهداء:

وإنّ الكلمات لتقصر عن الوفاء بحق من كان لهم الأثر الأكبر في هذه الرحلة، فما هذا العمل إلا محاولة متواضعة لسبر بعضٍ من أغوار الفكر، سعيت فيها أن أزاوج بين التأمل والصرامة، بين العقل والإيمان، فإن وفّقتُ، فذلك من فضل الله، وإن قصّرتُ، فلي فيه عذر الباحث الساعي، الذي يضع خطواته على طريق لا نهاية له.

﴿وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب﴾ (هود: 88).

هاشمي حنان

شكر وعرفان

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم

وأنار بالعقل دروب الحيرة، وجعل في السعي طلبًا للحق

وفي العلم عبادةً لا تقلّ شأنًا عن غيرها من العبادات.

أتقدّم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور أحمد حسن الذي كان نموذجًا للعقل المنهجي، والإنسان التربوي، فلولا توجيهاته الدقيقة، وصبره النبيل، ودعمه المستمر، ما اكتمل هذا العمل ولا نضجت فصوله على هذا الوجه.

كما لا يفوتني أن أُعبّر عن امتناني العميق لكل أساتذتي في قسم الفلسفة، الذين أثروا تجربتي العلمية والفكرية، وفتحوا أمامي نوافذ السؤال والتفكير والنقد، وأسهموا في تكوين وعيي الفلسفي والبحثي.

أشكر أيضًا كل من قدّم لي كلمة طيبة، أو دعمًا معنويًا، أو وقتًا ثمينًا خلال هذه المسيرة سواء بكلمة، أو نصيحة، أو حتى بصمتهم الذي منحني المساحة للتركيز والمثابرة.

وإلى كل من آمن بأن الفلسفة ليست ترفًا، بل أداة لفهم الذات والوجود ...

أهدي هذا الجهد المتواضع، راجيًا أن يكون فيه ما يُضيء للقارئ مسارًا، أو يوقظ فيه فكرة.

والله وليّ التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مقدمـة

يعتقد الكثير من مؤرخي ودارسي الفكر الفلسفي أن الفيلسوف الهولندي "باروخ سبينوزا" (Baruch Spinoza) الذي اتهم بالمروق عن العقيدة اليهودية – بأن أخضعها لحاكمية العقل – هو أحد ورثة العقلانية الديكارتية إن لم يكن أبرزهم، حيث إن بدايته كديكارتي جعلت من فلسفته الواحدية التي نعتها البعض بأنها صوفية أو لاهوتية ترفع على كاهلها مهمة البحث بطريقة جذرية عن هذه المحاور الثلاث: وجود الله، وجود الذات، وجود العالم الخارجي، والتي تعد ركائز الفلسفة الديكارتية، لتنصهر فيما بعد عند "سبينوزا" في كل واحد هو الله، حيث يصبح الله هو الطبيعة والطبيعة هي الله، كما نجد أيضا أن فلسفته هاته قد سعت إلى معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بكل وضوح وتميز من أجل تحرير الإنسان من الأوهام والخرافة والأسطورة، وذلك من خلال معالجة عواطف الإنسان وفهم رغباته، فضلا عن استيعاب طموحه وآماله، وكذا إطلاق العنان لطاقاته الخلاقة مع الارتقاء بالعقل الإنساني إلى مرتبة اليقين بغية الوصول إلى الحقيقة.

لقد أحدث هذا الطرح الفلسفي لسبينوزا تحولا في الفكر الحديث، حيث بدلا من الحديث عن الكوجيتو الديكارتي – أنا أفكر إذن أنا موجود (الأنا المفكرة) ننتقل إلى الحديث عن الوجود في كليته (وحدة الوجود) أو بعبارة أخرى ننتقل من ثنائية الأنا أفكر (النفس والجسم) إلى الحديث عن الطبيعة برمتها ككل واحد (جوهر واحد)، والتي عبر عنها "سبينوزا" بالطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة.

إن هذا التحول في الخطاب الفلسفي الذي يجعل من الإنسان أو الموجودات (العالم) موجودة في الله بالضرورة، دفع "بسبينوزا" إلى انتهاج طريقة مميزة في البحث وهي الطريقة الاستنباطية الرياضية التي تناغم بشكل متناسق مع روح "كوبرنيك" و"كبلر" و"غاليلي" العلمية وعقلانية ديكارت الرياضية، وعلى الرغم من أن العصر الذي كتب فيه "سبينوزا" انعدمت فيه قابلية الترحيب بالتفكير الحر المتميز الخارج عن تقاليد الفكر اللاهوتي السائد في القرون

الوسطى إلا أنه واصل سعيه بحزم في بناء فلسفته الأخلاقية، ذلك لأن الأخلاق عند "سبينوزا" ليست جزءا فقط من فلسفته بل فلسفته كلها أخلاقية.

ومن هنا يعتقد "سبينوزا" أن الأخلاق جزء من نظام عالمي مترابط، وأن المبادئ الأخلاقية يمكن استنتاجها منطقيًا من طبيعة الوجود، ولهذا أراد البرهنة على الأخلاق من خلال منهجه الهندسي الذي هو طريقة تقديم المعرفة بطريقة منطقية رياضية مضبوطة، تبدأ بتعريفات أساسية (مثل تعريف الخط في الهندسة) ثم تقدم مسلمات (مثل أن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين)، ثم تقوم باستنتاج قضايا أخرى بناءً على ذلك، لنصل إلى النتيجة مرورا بما يعرف بالبرهان والحاشية.

حيث أعطى "سبينوزا" أهمية كبيرة للمنهج الهندسي الذي له دلالاته الخاصة، والتي تتمثل أساسا في الدقة الرياضية والضرورة المنطقية، بحيث أن المنهج الهندسي يمنح الأفكار صبغة من الدقة والوضوح، وهو الأمر الذي من شأنه أن يتيح للدارسين فهم الأفكار بشكل أفضل وأكثر وضوحًا، بالإضافة الى الاستنباط المنطقي، حيث يضمن المنهج الهندسي أن يكون كل ما يقدمه "سبينوزا" نتيجة منطقية لما قبله، مما يمنح الأفكار قوة إقناعيه، فالعلاقة هنا منطقية رياضية مماثلة لعلاقة المقدمة بالنتيجة.

وانطلاقا من هذا كله نستطيع أن نطرح **الإشكال التالي:** إلى أي حد أسهم "باروخ سبينوزا" في البرهنة على الأخلاق بطريقة مشابهة لبرهنة المفاهيم الهندسية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات أهمها:

1. ما مفهوم الأخلاق عند "باروخ سبينوزا"؟
2. ماذا يقصد بالمنهج الهندسي عند "سبينوزا"؟
3. ماهي العناصر المشكلة للمنهج الهندسي عند "سبينوزا" في فلسفته الأخلاقية؟

من أجل الإجابة على هذه الإشكالية وتلك التساؤلات لجأت الى **المنهج التحليلي**، هذا لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذلك، حيث تتطلب تحليل وفهم المنهج الهندسي، وكيف استطاع "سبينوزا" البرهنة من خلال هذا المنهج على موضوع الأخلاق.

ولتوضيح ذلك ومعالجة الإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى **فصلين**، والبداية كانت من خلال **مقدمة** تضمنت تمهيدا للموضوع والتعريف به ومدى أهميته، أما **الفصل الأول** فكان بمثابة فصل تمهيدي تحت عنوان: الفيلسوف باروح سبينوزا حياته وفلسفته، حيث تم التطرق في **مبحثه الأول** إلى حياة ونشأة "سبينوزا" وكذا عرض أهم مؤلفاته، وفي **مبحثه الثاني** تم التطرق إلى فلسفة سبينوزا من خلال عرض نسقه الفلسفي فضلا عن عرض فلسفته الدينية وكذلك السياسية والاجتماعية، أما **الفصل الثاني** فتم التطرق في **مبحثه الأول** تأسيس الأخلاق عند سبينوزا من خلال تحديد مفهوم الأخلاق عند سبينوزا بوجه عام والأخلاق والعقل لدى سبينوزا بوجه خاص، وفي **المبحث الثاني** تناولت البناء المنهجي الهندسي عند سبينوزا من خلال التعرف على الأسس المرجعية للمنهج الهندسي وأهم العناصر المشكلة له، وفي **المبحث الثالث** تعرضت الى أنماط التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم وكذا تغير الذات، وفي الأخير **الخاتمة** التي تضمنت أهم نتائج البحث.

وقد اعتمدت على العديد من **المصادر والمراجع** من أهمها مصادر "سبينوزا": علم الأخلاق، ورسالة في إصلاح العقل ...الخ، وكذا العديد من المراجع مثل: كتاب "تاريخ الفلسفة اليونانية" لمؤلفه "يوسف كرم"، وكذا كتاب "الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم" للدكتور "إبراهيم مصطفى إبراهيم"، وكتاب "اسبينوزا الفلسفة الأخلاقية" لصاحبه الدكتور "زيد عباس كريم"، وكتاب "قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي" لمؤلفه وِل ديورَانت ترجمة الدكتور فتح الله محمد المشعشع.

بالنسبة لأسباب اختيار الموضوع فهناك أسباب ذاتية واخرى موضوعية:

أما الأسباب الذاتية فهي:

- رغبتنا في دراسة فلسفة "سبينوزا" الأخلاقية التي تميزت بمكانة كبيرة في تاريخ الفكر الفلسفي، حيث يعتبر الكثير من مؤرخي الفكر الفلسفي أمثال "ول ديورانت" أن كتاب الأخلاق الذي كانت دراسته وفقا لقواعد الهندسة من أروع وأنفس ما أنتجته الفلسفة الحديثة، بالإضافة إلى أن "سبينوزا" يعد من أهم وأبرز فلاسفة العقلانية في العصر الحديث إلى درجة أن "هيغل" رأى أنه على من أراد أن يكون فيلسوفا يجب عليه أولا أن يقرأ "سبينوزا".

وتمثلت الأسباب الموضوعية في:

- دراسة وتحليل الأخلاق وكيفية برهنتها من خلال المنهج الهندسي التي تمثل موضوع فلسفي لا يزال البحث فيه إلى يومنا هذا.
- أهمية سبينوزا في تاريخ الفكر الفلسفي بوجه عام وفي تاريخ الفكر الأخلاقي الحديث بوجه خاص.

ومن **الصعوبات** التي واجهتنا في دراسة هذا الموضوع صعوبة تفكيك وفهم النص السبينوزي الذي غالبا ما يتميز بالغموض ويحتاج إلى تحليل عميق ووقت أطول من أجل دراسته بشكل يليق بمكانته الفلسفية، وهو ما أشار إليه "سبينوزا" ذاته الذي يرى أنه لا يمكن الحكم على أفكاره إلا بعد قراءة الكتاب كله، وكذا صعوبة فهم المنهج الهندسي بشكل واضح لأنه يحتاج الإلمام بأصول الهندسة كما وضعها "إقليدس" وتطبيقها على الأخلاق، كما أنه في حدود علمي لا أحد استعمله غيره في برهنته للأخلاق.

بالإضافة إلى قلة المراجع والمصادر حول موضوع "الأخلاق وطريقة برهنتها من خلال المنهج الهندسي"، والتي وإن توفرت لدي فهي ذاتها تحتاج إلى بعض الشروحات، فعلى سبيل

المثال بالنسبة للمصادر فإن المصدر الرئيسي "علم الأخلاق" لفهمه لابد من قراءته العديد من المرات.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا، ولا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل أساتذتنا الكرام، الذين قدموا لي العون وفي مقدمتهم الأستاذ المشرف الذي لم يبخل بالنصح والإرشاد وحسن التأطير.

الفصل الأول

الفيلسوف باروخ سبينوزا حياتــه وفلسفتــه

المبحث الأول: نبذة عن حياة الفيلسوف باروخ سبينوزا

المطلب الاول: سيرته وتاريخه

المطلب الثاني: مؤلفاته

المبحث الثاني: فلسفة سبينوزا

المطلب الأول: نسق سبينوزا الفلسفي

المطلب الثاني: الفلسفة الدينية والسياسية والاجتماعية عند سبينوزا

إن لسبينوزا أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة الحديثة، فهو فيلسوف التنوير الذي تجرأ على نقد المقدس، وفي مقدمتهم التوراة والإنجيل اللذين يرى "سبينوزا" أنهما دين واحد، كما أنه عمل على تقويض السلطة السياسية القائمة على الدين، وذلك بالتنظير للدولة الوطنية التي يجب عليها أن تعامل الناس دون النظر لخلفياتهم الدينية أو العرقية، وبالإضافة إلى ذلك فهو أول من تحدث عن العلة الأولى للأشياء ممثلة في الطبيعة كعلة أولى عوضا عن استعمال تعبير الله ذو الدلالة الدينية، وكذلك لسبينوزا دور كبير في هدم فكر الإيمان بالمعجزات، والأهم من كل ذلك أن هناك جملة تنسب إلى الفيلسوف الألماني "هيغل" يقول فيها: إما أن يكون المرء سبينوزيا أو لا يكون فيلسوفا على الإطلاق. ولـ "أرنست رينان" مقولة قالها أثناء حفل تدشين تمثال سبينوزا في لاهاي: "ربما لم ير أحد الله عن كثب مثلما رؤي هنا من قبل سبينوزا! فهذا الشخص الذي اتهموه بالإلحاد كان حتما أقرب إلى الله من معظم رجال الدين في عصره.. وكان في استقامته، ونزاهته، وزهده في الحياة، مثلا أعلى في الفكر الفلسفي"، وفي هذا الفصل سوف نتطرق الى حياة وفلسفة سبينوزا بشكل مفصل ونرى ما الذي يميز فلسفته عن غيره من الفلاسفة؟

المبحث الاول: نبذة عن حياة الفيلسوف باروخ سبينوزا

للتعرف على فلسفة "سبينوزا" كان ولابد من التعرض لحياته وعرض أهم المراحل التي مر بها خلال مسيرته، وذلك لمعرفة خلفية فلسفته، إذ "أليست في حياته الاجتماعية والفردية معالم عديدة تفسّر الكثير من أفكاره وتُلقِي ضوءًا على غوامضها؟ لقد كان اسبينوزا، بحق، متفاعلاً مع مجتمعه بحيث تأثَّر تفكيره بأحداث هذا المجتمع، وتمشَّى مع ظروف عصره إلى حد بعيد، وبحيث كسرت تعاليمه نطاق الموضوعية الصلبة التي حاول اسبينوزا أن يُغلفها بها عن طريق المنهج الهندسي"[1].

المطلب الأول: سيرته وتاريخه

يُعد باروخ سبينوزا الفيلسوف الهولندي الأشد أهمية من بين فلاسفة القرن السابع عشر الميلادي، الذي ولد في 24 نوفمبر 1632 م في أمستردام، وكان سبينوزا متؤثراً – في مطلع شبابه – بالفيلسوف الفرنسي "رينيه ديكارت"، "كما يرجع نسب سبينوزا إلى عائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين، فقد كان والداه يهوديين وقد هاجرا من البرتغال. وفي ما قبل اضطر كثير من يهود شبه جزيرة إيبيريا إلى الهجرة نحو كثير من دول غرب أوروبا هروباً من اضطهاد السلطات هناك وفي البدء اضطروا إلى اعتناق المسيحية، ثم لما وجدوا مناخاً متسامحاً في هولندا عادو مرة أخرى إلى اليهودية" [2].

لقد كان "أبو سبينوزا ميخائيل تاجراً ميسور الحال، لديه شركة تجارية، لابأس بها، كما كانت له مكانة مرموقة في الجالية اليهودية المشهورة بأمستردام " [3].

ولعل أهم ما يمكن قوله عن "اسبينوزا" هو استقامة أخلاقه وكذا نبوغه في دراسته، وعلى الرغم من "نشأته في بيئة يهودية أرثوذكسية، لكن ميوله النقدية وشغفه بالمعرفة أديا إلى نزاع

[1] فؤاد زكريا، اسبينوزا، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2018، ص17.

[2] عطا الله سيد، باروخ سبينوزا، مكتبة زهران للطبع والنشر والتوزيع، مصر، د س، ص 7.

[3] فؤاد زكريا، اسبينوزا، المرجع السابق، ص19.

مع مجتمعه اليهودي في أمستردام. درس العبرية والتلمود وكتب تعليقاً عليه لكن أراءه الجريئة (مثل اعتقاده "أن الله يتجلى في الطبيعة والكون" وأن النصوص الدينية مجرد استعارات تهدف إلى فهم طبيعة الإله) تسبب في نبذه ونفيه من الجالية اليهودية عام 1656م لاحقا، تعرض لمحاولة طعن من متعصب ديني، مما يعكس مدى تأثير أفكاره الثورية على المجتمع آنذاك*"[1].

لقد تأثر "سبينوزا" بعد وفاة أبيه إذ لم تكن له مواهب تجارية، حيث "تولى أخوه الأكبر شئون تجارته، وعندما مات هذا الأخ وقع على عاتق سبينوزا إدارة الشركة التجارية التي تركها الأب، لكن لم تكن (...) شئون المال والأعمال ضمن إهتماماته. ومن ثم أهمل التجارة حتى تراكمت الديون، وتوقفت الشركة عن نشاطها. وعلى الرغم من ذلك فقد حصل سبينوزا على قليل من مال أبيه، حيث تمكن من إكمال دراسته" [2].

ولأن مدينة أمستردام لم تعد المكان الآمن لسبينوزا فقد انتقل "إلى عدة أماكن ريفية هادئة أو بلدان صغيرة، ليتفرغ للكتابة ويبتعد في الوقت ذاته عن الجو المحفوف بالخطر في أمستردام، ومن هذه البلاد رينسبورج Rhynsborg، ولاهاي. في هذه الفترة التي ابتعد فيها اسبينوزا بنفسه عن مخاطر الحياة وسط مجتمع مُعادٍ له في أمستردام، كان يُرزق من حرفة صناعة العدسات البصرية وصقلها، وهي صناعة أجادها إلى حد بعيد" [3].

وعلى الرغم من ذلك فقد أدرك "سبينوزا" في مرحلة نضوجه الفكري إلى استحالة الجمع بين قيم العمل التجاري والمثل الفكرية والروحية التي سيطرت على ذهنه، فاضطر للاختيار بين تكريس حياته لكسب المال أو قمع رغبته فيه ليتفرغ لرسالته الفلسفية، وبعد تأمل طويل

---

* حينما كان سبينوزا يتجول "ذات ليلة في أحد الشوارع، هاجمه وغد من متدين يريد إثبات تدينه بالقتل والجريمة وطعنه في (...) رقبته، أنظر: – وِل ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت – لبنان، ط1، 2014، ص121.

[1] عطا الله سيد، باروخ سبينوزا، المرجع السابق ص8.

[2] المرجع نفسه، ص ص8–9.

[3] فؤاد زكريا، اسبينوزا، المرجع السابق، ص24.

آثر الثقافة الروحية والفكرية على المادة، فتخلى عن تلك الأعمال التجارية التي ورثها عن أبيه، مضحياً بالمال في سبيل تحقيق أهدافه الفكرية العليا، "فهو لا ينكر أنه كان مهتمًا بالمال في أوائل حياته، ولكنه يؤكد أنه قد انصرف عن هذا الاتجاه حالما أدرك خطره على حياته الفكرية" [1].

وحينما شرع "سبينوزا" في كتابه نصوصه الأولى بين عامي 1660م و1663م أسس رفقه أصدقائه حلقة فكرية، "ومنذ عام 1663م حتى العام 1670م أقام في بوسبرج، وبعد نشر كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة)، عام 1670م ذهب حتى يستقر في لاهاي حيث اشتغل مستشاراً سريا لجون دوويت. ثم سنة 1676م زاره الفيلسوف الألماني "لايبنتز". ويعتبر كتابه الأخلاق الذي ألفه في عام 1677م أحد أهم الكتب المؤثرة في الفلسفة الغربية، والذي عارض فيه ثنائية العقل – الجسد للفيلسوف رينيه ديكارت" [2].

أما بالنسبة لمؤلفه (رسالة في اصلاح العقل) فقد شرع في كتابة هذه الرسالة سنة 1661م، غير أنه توقف عن إتمامها، وللتنويه هنا فإن "الكتاب الوحيد الذي يحمل اسمه وهو (مبادئ فلسفة ديكارت)، ويتبعه في المجلد نفسه كتاب (أفكار ميتافيزيقية). ولعلّ اهتمام سبينوزا بأحداث الساعة هو ما شغله عن إتمام الرسالة (في إصلاح العقل)، وما عطّل إنجاز (علم الأخلاق)، من أجل تأليف الرسالة (في اللاهوت والسياسة) (1670م). ولقد صدرت هذه الرسالة خفية الاسم" [3].

ومن هنا يمكن القول إن "سبينوزا" قد تأثر بالقضايا السياسية والفكرية وبالأوضاع السائدة في عصره، وقد شغله ذلك عن إكمال "رسالة في إصلاح العقل"، كما أنها أخرت عمله الشهير

[1] فؤاد زكريا، اسبينوزا، المرجع السابق، ص23.

[2] عطا الله سيد، باروخ سبينوزا، مرجع سابق، ص9.

[3] جلال الدين سعيد، سبينوزا والكتاب المقدس الدين والأخلاق والسياسة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ط1، 2017، ص ص9-10.

"علم الاخلاق"، ولهذا نجده قد ركز على تأليف "رسالة في اللاهوت والسياسة"، الذي تم نشره سنة 1670م، والذي ناقش فيه حرية الفكر والدين، مما أثار جدلا واسعا.

وقبل عام من وفاة "سبينوزا" وبالضبط "في نهاية تموز/ يوليو 1675م، بادر (بطبع علم الأخلاق) بعد خمس عشرة سنة قضاها في تأليفه إلا أنه سرعان ما عدل عن ذلك لما بلغه أن بعض الأعداء كانوا يتربصون به الدوائر. أما (الرسالة السياسية)، فقد وافاه الأجل قبل أن ينهيها" [1].

وقد توفى "سبينوزا" وهو في الرابعة والربعين من عمره "في 21 فبراير– شباط، من العام 1677م (...) على إثر اصابته بمرض رئوي، ربما السل، أو السحار السيليسي؛ بسبب غبار تنعيم العدسات" [2]، حيث إن سبب وفاته يرجع إلى أنه "قد ورث مرض السل عن والديه، كما أثرت حياة الحصر التي عاشها والجو المشحون بالغبار الذي كان يعمل فيه على صحته، وبدأ يشعر بصعوبة التنفس أكثر فأكثر، ونخر المرض رئتيه عاما بعد عام (...) لقد أحبه البسطاء لرقته، كما أحبه العلماء لحكمته. وانضم الفلاسفة والقضاة إلى الشعب وساروا وراءه إلى مقره الأخير. واجتمع حول قبره رجال من كل مذهب ومن كل دين" [3].

المطلب الثاني: مؤلفاته

على الرغم من قصر حياة باروخ سبينوزا، إلا أنه ألف العديد من الكتب والرسائل التي تناولت قضايا فلسفية متنوعة وعميقة، وخلال حياته لم ينشر سبينوزا سوى كتابين فقط، نُشر أحدهما باسمه صراحة، وهو كتاب "مبادئ فلسفة رينيه ديكارت" Renait Descartes Principia philosophie، والذي أرفق بملحق بعنوان "خواص ميتافيزيقية" Cogitationes Metaphysicae، وقد صدر هذا العمل في أمستردام سنة 1663م.

[1] جلال الدين سعيد، المرجع السابق، ص 11.

[2] عطا الله سيد، باروخ سبينوزا، مرجع سابق، ص ص9–10.

[3] وِل ديورانت، المرجع السابق، ص ص125–126.

أما الكتاب الثاني فهو "الرسالة في اللاهوت والسياسة" Tractatus Thrologico Politicus، والذي نشر أيضا في أمستردام سنة 1663م، غير أن الغلاف أشار إلى أن الطباعة تمت في هامبورغ بألمانيا، دون ذكر اسم المؤلف تفادياً للاضطهاد الديني والساسي الذي كان سائداً آنذاك، وبعد وفاة سبينوزا، تكفل أصدقاؤه بنشر مجموعة من مؤلفاته تحت عنوان "المؤلفات المخلفة"، Opera Posthuma. مع الإشارة إلى اسمه باستخدام الحروف الأولى فقط من اسمه ".B. D. S"، وتحتوي هذه المؤلفات، حسب الترتيب التالي "علم الأخلاق*، الرسالة السياسية، رسالة في إصلاح العقل، المراسلات، موجز في النحو العبري"[1].

حيث جاءت هذه المؤلفات باللغة اللاتينية، ماعدا بعض الرسائل التي ترجمت باللغة الهولندية.

1. رسالة في إصلاح العقل (Treatise on the Improvement of the understanding)

شرع باروخ سبينوزا في تأليف كتابه عام 1661م، إلا أنه لم يكمل العمل عليه فضل غير مكتمل. ويُعد هذا الكتاب بمثابة مقدمة في المنهج وقيمة المعرفة حيث يعتبر محاولة لتأسيس منطق جديد أو مدخل لفهم المنهج العلمي على غرار ما قام به فرنسيس بيكون في كتابه "الأورجانون الجديد" عام 1620م، وما قدمه رينيه ديكارت في مقال عن المنهج عام 1637م. كما نجد سبينوزا يبين" المنهج القويم الذي يؤدي بطريقة مثلى إلى معرفة الأشياء معرفة حقيقية لا لبس فيها"[2].

---

* إن "علم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة. ولقد تكوّن علم الأخلاق منذ العصر اليوناني القديم، في مقابل الطبيعيات الأيونية. ولمعرفة ما يجب على الانسان فعله لبلوغ السعادة تحدث الفلاسفة عن طبيعة الوجدان والضمير والواجب والخير والعدل". أنظر:

– جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2004، ص23.

[1] سبينوزا، علم الأخلاق، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 11.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د ط. 2000م، ص 190.

أما في الجزء الثاني من كتابه "الأخلاق"، يعالج "سبينوزا" طبيعة الإنسان وأصل المعرفة البشرية ساعياً إلى تجاوز الثنائية التقليدية بين العقل والجسم التي طرحها "ديكارت" Rene Descartes، من خلال تأكيده على وحدة الفكر والامتداد كوجهين لجوهر واحد. أما في رسالته غير المكتملة في إصلاح العقل، فيركز على كيفية تحسين قدرات العقل البشري للوصول إلى المعرفة الحقيقة، معتبراً أن هذا السعي هو السبيل لتحقيق السعادة والفضيلة. ونظراً لافتقار الأخلاق إلى مقدمة توضح أهدافه، تعد في إصلاح العقل بمثابة تمهيد يوضح الغايات التي يسعى سبينوزا لتحقيقها في فلسفته [1].

2. مبادئ فلسفة ديكارت:

رغم أن باروخ سبينوزا لم يحظ بفرحة التدريس في المؤسسات الأكاديمية الكبرى، إلا أن هذا لم يحُل دون ممارسته للفكر التعليمي ضمن أطر ضيقة ودوائر نخبوية محدودة. ومن أبرز ما نتج عن هذا التوجه كتابه "مبادئ فلسفة ديكارت"، الذي وضعه في سن مبكرة لم يتجاوز العشرين، ووجهه إلى تلميذه كازيروس*، "وكان من الضروري قبل أن يعرض لمبادئ فلسفة ديكارت أن يخلص هذا الشاب من كل عوائق الثقافة المدرسية التي علقت بذهنه، فاستهل الكتاب بمدخل نقدي، وبملاحظات حول أهم الفلسفات العامة المدرسة في الفترة المدرسية بأسلوب ديكارتي (...) وأخذ بعد ذلك في شرح الفلسفة الديكارتية، ومعقبا عليها حتى استوفاها من خلال هذا الكتاب" [2].

وقد تميز هذا العمل بتقديم الفكر الديكارتي ضمن بناء منطقي صارم مستلهما المنهج الهندسي الذي اعتمده سبينوزا لاحقاً في مشروعه الأخلاقي.

---

[1] عطا الله سيد، باروخ سبينوزا، مرجع سابق ص 24.

* كازيروس (Caesarius): هو "طالب في اللاهوت تلقى قدرا كبيرا من الفلسفة المدرسية، فرأى سبينوزا ضرورة تعليمية مبادئ الفلسفة الحقة من خلال الفلسفة الديكارتية"، ينظر: – الحاج دواق، الضرورة والحرية، قراءة في فلسفة سبينوزا، منشورات الاختلاف. الجزائر، ط 1، 2016م، ص 25.

[2] الحاج دواق، المرجع السابق، ص ص25–26.

لقد أبرز سبينوزا من خلال هذا المؤلف قدرة لافتة على تحليل فكر فيلسوف آخر واستيعابه بعمق، بل وتجاوزه نقدياً مما يدل على نضج مبكر واستعداد فلسفي استثنائي وقبل الخوض عرض مبادئ الفلسفة الديكارتية، استهل الكتاب بنقد للفلسفات المدرسية السائدة مستعرضاً القضايا الأساسية التي انشغلت بها وعلى رأسها قضايا "وجود الله" والطبيعة، وهي الموضوعات التي تعرف ببعدها الميتافيزيقي. وكان هدفه من هذا النقد هو بمنهج "هيدغر" المعاصر تقويض الأسس الفكرية القديمة التي قد تعيق فهم الفلسفة العقلانية الحديثة، وتهيئة المتلقي لاستقبال المشروع الفلسفي الديكارتي بروح نقدية وبذهن فطن ومتحرر من كل معتقد.

وهكذا لم يكتف "سبينوزا" بشرح فلسفة "ديكارت"* بل عمد إلى تحليلها وتعقيبها وتفكيك بنيتها حتى أتى على تفاصيلها بشكل دقيق وعميق، مقدماً بذلك نموذجاً فريداً في التعليم الفلسفي خارج الإطار المؤسسي التقليدي.

3. الرسائل Epistolae

في الطبعة الأصلية نشرت أربع وسبعون رسالة تبادلها "سبينوزا" مع عدد من مراسليه ثم ألحقت بها لاحقا رسائل أخرى كشف عنها بعد وفاته، حتى بلغ مجموعها خمسة وثمانون رسالة، وعلى الرغم مما عرف عن "سبينوزا" من تحفظ شديد في مراسلاته وحرصه على إخفاء مكنونات نفسه، بل وتعمده أحياناً إبقاء مسافة فكرية ونفسية بينه وبين مخاطبيه، فإن للرسالة أهمية كبيرة. فهي تتيح وإن بطريقة غير مباشرة الاطلاع على جوانب خفية من حياته الشخصية

* ولد رينيه ديكارت Rene Descartes في يوم 31 مارس من عام 1596م في بلدة لاهاي La Haye من مقاطعة التورين Toraine بفرنسا، وهو فيلسوف ورياضي وفيزيائي يلقب بأب الفلسفة الحديثة، كانت له إسهامات كبيرة في مجال الفلسفة، كان له مشروع فريد من نوعه في تاريخ الفلسفة، فقد أراد إعادة بناء الفلسفة واعتمد في ذلك على منهج الشك ومنهج الرياضيات الكلية وهو منهج استمده من منهج الرياضيات، يصلح في نظره لمختلف أنواع المعرفة، ويعتبر ديكارت رائد العقلانية، بالإضافة إلى إسهاماته في مجال الرياضيات، فقد أسس نظاما رياضيا سمي باسمه وهو نظام الإحداثيات الديكارتية، الذي يشكل النواة الأساسية للهندسة التحليلية. ينظر: – راوية عبد المنعم عباس، د. صفاء عبد السلام جعفر، مذاهب فلسفية حديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2003م، ص ص36–38.

التي سعى جاهداً إلى كتمانها، كما أنها تمثل مساحة حرة عبر فيها عن آرائه الفلسفية أحيانا بصيغة أكثر وضوحاً وتبسيطاً مقارنة بما ورد في مؤلفاته الأكاديمية، وقد تنوعت الشخصيات التي تبادل معها الرسائل، فمنها أصدقاؤه المقربون الذين تقاطعوا معه في الفكر والرؤية، ومنها من لم تكن تربطه بهم علاقة وثيقة، بل منها حتى خصومه، وكان كتاباته لهم في حدود ما يستوعبونه من مفاهيم وأفكار، "لا يسع المقام ولا يسمح ببسطها وتفصيلها"[1].

4. رسالة في اللاهوت والسياسة

نشر "سبينوزا" هذا الكتاب عام 1670م دون أن يذكر اسمه، نظراً لما تضمنه من أفكار جديدة تخالف ما كان سائدا في العصور السابقة، خاصة فيما يتعلق بالكتب المقدسة لدى اليهود. ويتجلى هدف الكتاب بوضوح في طرح رؤية مختلفة تجمع بين الفلسفة والدين والسياسة. "وهو تناول العقائد الإيمانية والكتب المقدسة بالأسلوب العقلي المبني على التفلسف الحر من العنوان الفرعي وفيه تتم البرهنة على أن حرية التفلسف لا تمثل خطرا على التقوى، أو على سلامة الدولة، بل إن القضاء عليها قضاء على الدولة وسلامتها، وعلى التقوى ذاتها في آن واحد" [2].

ويتضمن الكتاب عشرون فصلاً، يبدأها سبينوزا بتناول مسألة النبوة وطبيعة الأنبياء، ثم ينتقل إلى مناقشة القانون الإلهي والمعجزات، ويعرض منهجه في تفسير الكتب المقدسة، مع تحليل للأسفار والشريعة الحقة، ليصل في الفصول الأخيرة إلى موضوع الإيمان الصادق والدولة وأسس قيامها كحرية الفكر والتعبير، حيث "احتوى الكتاب على مسائل هامة حول الوحي والنبوة والمعجزات وحرية الاعتقاد، ومهج دراسة النصوص الدينية وغيرها من الموضوعات التي بينت إلحاده للآخرين" [3].

---

[1] الحاج دواق، المرجع السابق، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص ص27-28.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص191.

5. الأخلاق

حينما كان "سبينوزا" يعيش في قرية رينسبورغ قام بتأليف الجزء الأول من كتاب علم الأخلاق في شكله الأصلي، وبعث به إلى بعض أصدقائه ليبدوا رأيهم فيه، وفي نهاية سنة 1674م أكمل "سبينوزا" تأليف كتابه وقام بتوزيع نسخ من المخطوط الأصلي على أصدقائه وفي سنة 1675م ذهب "سبينوزا" إلى أمستردام لنشر كتابه، ولكنه عدل عن ذلك، "فقد سرت في البلد إشاعة على أنه سينشر كتاباً يقيم فيه الدليل على عدم وجود الله، كما يقول في رسالة* له لصديقه أولدنبرج (...) قررت إرجاء نشر الكتاب إلى وقت آخر. ولم ينشر كتاب الأخلاق إلا بعد وفاة سبينوزا"[1]، ولقد "اصطنع سبينوزا في كتاب علم الأخلاق منهج الرياضيين في الهندسة، وأسرف في اصطناع هذا المنهج، حتى لقد جاء كتابه أشبه بكتب علماء الهندسة منه بكتب الفلاسفة"[2]، وجاء كتاب الأخلاق مبرهنا عليها على النهج الهندسي في خمسة أجزاء تبحث:

1- في الله

2- في طبيعة النفس وأصلها

3-في أصل الانفعالات وطبيعتها

4-في عبودية الإنسان أو في قوى الانفعالات

5- في قوة العقل أو في حرية الإنسان

---

* كانت هذه الرسالة رد "سبينوزا" على المكتوب الذي أرسله له صديقه أولدنبرج بتاريخ 22 جويلية 1675م، حيث يفسر فيها أساب تراجعه عن نشر كتاب علم الأخلاق، يقول "سبينوزا" في هذه الرسالة: "لقد وصلتني رسالتك بينما كنت على أهبة السّفر إلى أمستردام كي ادع إلى الطّبع الكتاب الذي حدثتك عنه. ولمّا كنت منشغلا بذلك إذ ذاع نبأ صدور كتاب لي عن الله، حيث أسعى إلى انكار وجوده، وصدّق بهذا النبأ عدد كبير جدا من الأشخاص. فبعض اللاهوتيين (...) قد اغتنموا الفرصة لرفع شكوى ضدّي أمام الأمير والقضاة (...) فلما بلغني ذلك من أشخاص جديرين بالثقة، فأخبروني في نفس الوقت بما يدسه لي اللاهوتيين من مكائد، قررت أن أرجئ نشر ما أعددته، عسى أن تتضح الأمور". أنظر: - سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص15.

[1] وِل ديورانت، المرجع السابق، ص123.

[2] سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص12.

6. الرسالة السياسية:

تعد الرسالة السياسية من الأعمال التي لم يكتب لها الاكتمال، وقد تظل أسباب ذلك مفتوحة على احتمالات متعددة، فربما حال دون إتمامها تنقل "سبينوزا" المستمر وافتقاده للاستقرار الضروري لعملية التأليف، أو ربما لانشغاله العميق بإنجاز الرسالة في اللاهوت والسياسة التي شكلت مشروعه الفكري الأبرز.

وعلى الرغم من أن الموت عاجله قبل أن يتمها، فقد ترك بين أيدينا إحدى عشر فصلاً تضمنت عرضاً تحليلياً لأشكال الحكم المختلفة، ومقارنة دقيقة بين السياسات المتبعة في كل نظام. وقد اختتم ما اتيح له من هذا العمل بنقاش حول النظام الديمقراطي الذي راه "سبينوزا" أعدل أشكال الحكم، لما يوفره من حرية للأفراد ويضمن مشاركة حقيقية في اتخاذ القرار [1].

المبحث الثاني: فلسفة سبينوزا

في هذا المبحث سأتطرق إلى فلسفة "سبينوزا" بوجه عام من خلال تقديم مطلبين: المطلب الأول سأتناول فيه نسق "سبينوزا" الفلسفي، والمطلب الثاني سأتناول فيه الفلسفة الدينية والسياسية والاجتماعية.

المطلب الاول: نسق سبينوزا الفلسفي

يقال إن هناك عدد قليل من فلاسفة العصر الحديث هم الذين تميزت أطروحاتهم بدقة بالغة ونظام متقن لا يحيد، ولأن "سبينوزا" كان منعزلا ومنبوذا من مجتمعه الذي نشأ فيه، كان من المفترض أن يشعر بالعجز واليأس، إلا أن عزيمته وقوة ارادته جعل الأمور تسير عكس ذلك تماما، إذ "كرّسى سبينوزا حياته للفلسفة لأنه شعر بحاجته لخير أسمى يعيش من أجله، وسعادة قصوى يسعى إليها، يمنحانه الشعور بالرضا النفسي والعقلي معا مستقلا في ذلك عن العالم الخارجي، ومبتعدًا عن ظروفه المحيطة به" [1].

[1] الحاج دواق، المرجع السابق، ص 29.

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 193.

وقد قال سبينوزا في ذلك: "وهكذا فقد شعرت أنني أعيش في حالة خطيرة، فأجبرت نفسي على أن أبحث بكل قوتي عن علاج لداء الخطر هذا، وعلى الرغم من أن هذا العلاج قد يكون غير مؤكدًا، ولكنني كرجل مريض قررت أن أكافح هذا المرض الخطير، لأنني رأيت أن الموت آت لا ريب فيه، فكان لابد من توافر العلاج، وفى هذا العلاج إنما يكمن الأمل في الحياة"[1].

ولأن "ديكارت" قد ذهب إلى "أن الوجود ينحل إلى عنصرين. عنصر متجانس تنطوي تحته جميع أشكال المادة، وعنصر متجانس آخر يندرج تحته جميع أشكال العقل"[2]، فقد أثار اهتمام "سبينوزا" الذي كان ينزع إلى التوحيد، حيث "لا يعترف إلا بجوهر واحد فقط. فإذا كان ديكارت قد قال بصفة الفكر للعقل أو الذهن، وبصفة الامتداد للمادة أو الجوهر المادي فإن سبينوزا يجعل هاتين الصفتين معًا من صفات هذا الجوهر الواحد الذي يقول به، وهذا المذهب الذي ذهب إليه سبينوزا قد ذهب إليه من قبل بارمنيدس (...) يسمى مذهب وحدة الوجود Pantheism، وقال به بعد ذلك برونو وسبينوزا وابن عربي وابن سبعين والحلاج وغيرهم"[3].

وبوجه عام فإن مذهب وحدة الوجود ينص على "أن الله هو العالم. وجسمه النجوم والكواكب والأشجار والأزهار والمحيطات والجبال والسحب. وعقله الروح التي تشكلها وتلونها وتحركها وتجملها، وكل عقل بشرى جزء من عقل الله. وتعرف هذه العقيدة الفلسفية بوحدة الوجود" [4].

من هنا فإن مسألة إثبات وجود العالم لدى "سبينوزا" ليس فيها أي لبس لأنه يمكن أن نستدل على ماهيته من وجوده، "ولما كان الإله أو الطبيعة بما هي كل، الجوهر الوحيد

---

[1] Wright, A History of Modern philosophy, p. 93

(نقلا عن: – إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص193)

[2] وِل ديورانت، المرجع السابق، ص 119.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص ص193–194.

[4] هنري توماس، ودانالي توماس، أعلام الفكر الأوروبي، من سقراط الى سارتر، ترجمة: عثمان نوية، الجزء الأول، العدد 313، دار الهلال، القاهرة، 1397هـ/1977م. ص 123. (نقلا عن: – إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص194).

اللامتناهي المتسبب لذاته، فإنه يعمل على وفق قوانين طبيعته وحدها، ولا يتأثر بأي شيء آخر (...) إن العلاقة بين مفهوم الإله بالمعنى السبينوزي وبين سائر الأشياء الأخرى تعد علاقة تحليلية. ذلك أن الضرورة التي تحكم تلك العلاقة هي الضرورة التحليلية نفسها التي تربط بين المثلث ومجموع زواياه الداخلية" [1].

وبهذا فإن وحدة الوجود تقتضي "أن كل جسم بشرى هو جزء من جسم الله، وكل فكرة بشرية هي جزء من عقل الله، ولكن العالم لا يحكم وفق رغباتنا الفردية، بل وفق مشيئة الله التي شملت كل شيء ووسعت كل شيء علما. إذن فكل شيء تبعا لهذا المذهب هو شيء مقدس، وأن الله والطبيعة متطابقان"[2].

ومن هذا المنطلق فإنه بحسب النسق الفلسفي السبينوزي لابد من "أن ننظر في الطبيعة الإلهية قبل أدوات الحس، لأن الله سابق عليها من ناحية المعرفة ومن ناحية الوجود على حد سواء. وبعبارة أخرى. إن أدوات الحس تعتمد في وجودها على الله ولذلك فإذا أردنا معرفتها وجب أن نعرف الله أولا" [3].

وإذا كانت بعض الفلسفات القديمة قد بدأت طريقها في المعرفة بالأشياء المحسوسة Sensible things، وإذا كان "ديكارت" قد بدأ بالكوجيتو (الأنا المفكرة) التي جعلها اليقين الأول في نسقه الفلسفي، فإن سبينوزا قد بدأ بالله، وكما أخذ "ديكارت" عناصر فلسفته العقلية من فكرة الذات، كذلك ارتكز النسق الفلسفي لسبينوزا كله على فكرة الله، حيث اعتقد "سبينوزا" أن كل شيء، يلزم عن طبيعة الله بالضرورة [4].

---

[1] زيد عباس كريم، المرجع السابق، ص170، ص 173.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 194.

[3] Windelband, W., History of Philosophy, Macmillan, New York, 1954, P.396.

(نقلا عن: – إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 198).

[4] كريم متى، الفلسفة الحديثة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية، 1988م، ص 96.

المطلب الثاني: الفلسفة الدينية والسياسية والاجتماعية عند سبينوزا

1. <u>الفلسفة الدينية:</u> يرى الدكتور حسن حنفي في مقدمة ترجمته لمؤلف سبينوزا (رسالة اللاهوت في السياسة) أن "سبينوزا هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقاً جذرياً في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه، خاصة في مجال الدين، وأعني الكتب المقدسة والكنيسة والعقائد والتاريخ المقدس .. الخ"[1].

لقد أقر "سبينوزا" تعريف "ديكارت" للجوهر باعتباره "الشيء الموجود الذي لا يتطلب شيئا غير ذاته لكي يوجد"، حيث يقول سبينوزا: "أعني بالجوهر ما يوجد في ذاته ويتصور بذاته أي ما لا يتوقف إنشاء تصوره على تصور شيء آخر"[2]، وهذا الجوهر يجب أن يكون لا متناهيا إطلاقا ومستقل عن أي موجود آخر، إذ "لا يمكن أن يوجد في الطبيعة جوهرا أو عدة جواهر من طبيعة أو صفة واحدة"[3]، فضلا عن أن "الجوهر يجب أن يكون لا متناهيا خالدًا كاملا لا يتغير بحسب الظروف لأن التغير قد يعنى الانتقال من حالة نقص إلى حالة كمال. وبناء عليه فالجوهر أصبح لدى سبينوزا الطبيعة أو الله، وأصبحت المصطلحات الثلاثة: الجوهر substance، والطبيعة Nature، والله God نشير إلى نفس الموجود Being" [4].

إن "سبينوزا" يرى أن "قوانين الطبيعة العامة وأوامر الله الخالدة شيء واحد. وأن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله اللانهائية كما ينشأ من طبيعة المثلث أن زواياه الثلاث تساوي قائمتين. وأن الله بالنسبة إلى العلم كقوانين الدوائر بالنسبة إلى الدوائر كلها. فالله هو السلسلة السببية، الكامن وراء كل الأشياء" [5].

---

[1] اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي، مراجعة: د. فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005، ص9.

[2] سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، (د، س)، ص30.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص 199.

[5] وِلْ ديورَانت، المرجع السابق، ص135.

كما أنه بحسب "سبينوزا" فإن المفهوم الديني التقليدي عن الله على أنه جوهر لا متناهي عمل بإرادته الحرة على خلق الطبيعة من العدم، وبالتالي فهو مفارق لها ومتعال عليها، يحمل العديد من المتناقضات التي يمكن يشرحها على النحو الآتي: [1]

إذا كان الجوهر كما يرى "سبينوزا" ما كان موجوداً ومتصوراً من خلال ذاته، أي ما كان مفهومه لا يحتاج إلى أي مفهوم آخر يجب أن يأخذ منه، فمن غير الممكن أن يوجد إلا شيء واحد فقط ينطبق عليه هذا التعريف وهو الله الذي هو الطبيعة، حيث يرى الفيلسوف "ولف" Wolf في مقال له عن "سبينوزا" أنه "بدل من أن تكون الطبيعة في ناحية وأن يكون إله فوق الطبيعة في ناحية أخرى، فقد ذهب سبينوزا إلى أن للحقيقة عالما واحد هو الطبيعة والله في آن واحد"[2]، وذلك راجع لأمرين:

أ- أن كل ما هو في الطبيعة يعتمد في وجوده على غيره من الأشياء، ولهذا من غير الممكن أن نعده جوهرا، "فسواد العين لا يوجد مستقلا عن العين، والعين لا توجد مستقلة عن الوجه، والوجه لا يوجد مستقلا عن البدن. ولكن إذا كانت الأشياء الفردية في الطبيعة تعتمد في وجودها على بعضها البعض وهي لذلك ليست جواهر. فإن المجموع الكلي للطبيعة The totality of Nature أو الطبيعة بما هي كل لا تعتمد على أي شيء آخر، ولذلك يمكن أن نعدها جوهراً متسبباً لذاته Causa sui"[3]، أو كما يقول "سبينوزا"، "ما تنطوي ماهيته على وجوده: وبعبارة أخرى، ما لا يمكن لطبيعته أن تُتصور إلاّ موجودة" [4].

ب- إذا كانت الطبيعة بما هي كل جوهرا، فمن المستحيل أن يكون إلى جانبها جوهر آخر، لأن القول بوجود جوهرين أو أكثر يترتب عنه وجود تناقض منطقي، "فإذا قلنا مع

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص ص199-200.

[2] أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، د ط، 2011، ص99.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص199.

[4] سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص29.

ديكارت بأن هناك جوهرين هما العقل والجسم أحدهما مع ويؤثر في الآخر فلا يمكن أن نتصور أحدهما بعيدًا عن الآخر، كما لا يمكن اعتبار أحدهما جوهرًا، لأن الجوهر كما هو مفروض شئ متقوم بذاته، ويتغير بحسب قوانين طبيعته أو ماهيته وليس بتأثير شئ آخر خارجه. وبعبارة أخرى ينبغى أن يكون بسبب ذاته Causa sui" [1]، يقول "سبينوزا": "لا يمكن أن ينتج عن تعريف الجوهر وجود جواهر كثيرة، وينتج عن ذلك بالضرورة أنه لا يوجد سوى جوهر واحد من نفس الطبيعة، وهو ما كنا نسعى إلى إثباته" [2].

2. <u>الفلسفة السياسية والاجتماعية:</u>

إن نظرية "سبينوزا" في السياسة لا تخرج عن نطاق فلسفته العامة، فهو يرى أنه لابد من أن ندرس "المشكلات السياسية والاجتماعية دراسة علمية بعيدا عن الأغراض الأخلاقية والدينية. فإذا أردنا أن تقوم مجتمعا على أسس صحيحة، فإنه ينبغي أولا أن نفهم الناس من حيث أنهم كائنات عضوية Organic Beings. فلا نرسي سياستنا على مفاهيم مثالية عن الطبيعة البشرية ولا على قواعد أخلاقية لا تعبر إلا عن أذواقنا الذاتية، وانفعالاتنا السلبية" [3].

من هنا فإنه بحسب "سبينوزا" لا يمكننا الوصول إلى فهم دقيق للمبادئ الأساسية التي تقوم عليها الدولة إلا إذا تمكن من استيعاب مبادئ الفلسفة الطبيعية، فكل ما يحدث من تغيرات في المجتمعات البشرية يتم حدوثه وفقا لقوانين ضرورية، ولهذا فإن خلاص الإنسان يعتمد على استيعاب تلك القوانين ومحاولة تكييف حياته معها، فالإنسان عند سبينوزا هو عبارة عن "حال متناه من أحوال الله أو الطبيعة بما هي كل، وبقدر ما يزداد تفكيره وضوحًا وتمايزا أي كفاية، فإنه بذلك القدر يزداد كمالا. وبناءً عليه ينبغي أن يكون هدف الدولة الأساسي توفير الأسباب لكي يمارس الناس التفكير الواضح والمتمايز الذي يتمثل في اكتشاف النظام الضروري

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص200.

[2] سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص38.

[3] إبراهيم مصطفى إبراهيم، المرجع السابق، ص208.

للكون بواسطة الاستدلال المنطقي فالمعيار لتقييم أي تنظيم سياسي هو مقدار ما يساعد الناس الأحرار على حب الطبيعة وفهمها فهماً عقلياً"[1].

إذن لابد من التنظيم السياسي أن يستند على التفكير الصحيح الحر، "لقد وضع سبينوزا فلسفته السياسية التي يؤيد فيها الديمقراطية في نفس العصر الذي كان فيه هوبز يمجد الملكية المطلقة في إنجلترا، ويستنكر ثورة الشعب الإنجليزي على مليكه بنفس الشدة التي كان ملتون يدافع فيها عن هذا الشعب"[2].

وعلى الرغم من أن "سبينوزا" كان يرى أن الديكتاتورية تمثل ألد أعداء الحرية الفكرية والسياسية، فإن نظريته السياسية كانت تتوافق مع نظرية "توماس هوبز" في كثير من النقاط المشتركة، فهو يقيمها على أساس استنباط ما يتوصل إليه من نتائج من نظريته الميتافيزيقية العامة.

<u>خلاصة الفصل الأول:</u>

يتضح مما سبق أن "سبينوزا" صاحب أكبر مشروع تنويري تحرري، حيث تضم فلسفة "باروخ سبينوزا" جميع مجالات الخطاب الفلسفي تقريبًا، بما في ذلك الميتافيزيقيا والأبستمولوجيا والفلسفة السياسية والأخلاقيات وفلسفة العقل وفلسفة العلم. يُعرف "سبينوزا" بأنه أحد المفكرين المهمين والمبدعين في القرن السابع عشر.

وكما أشرنا الذكر أن فلسفته تتميز بكونها منهجية وعقلانية، وتركز على فكرة الجوهر الواحد، وتفسير العالم بوصفه جزءاً من هذا الجوهر. حيث إن فلسفته كلها ترتكز على الله الذي يعتبر الجوهر المطلق الذي يشمل كل شيء، وأن العالم هو مجموعة من الأنماط أو الأشكال التي تعبر عن هذا الجوهر.

[1] إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت الى هيوم، المرجع السابق، ص 208.

[2] وِل ديورانت، المرجع السابق، ص146.

الفصل الثاني

الأخلاق ودراستها على الطريقة الهندسية لدى باروخ سبينوزا

المبحث الأول: تأسيس الأخلاق عند سبينوزا

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق عند سبينوزا

المطلب الثاني: العقل والأخلاق لدى سبينوزا

المبحث الثاني: بناء المنهج الهندسي عند سبينوزا

المطلب الأول: أسس المنهج الهندسي

المطلب الثاني: العناصر المشكلة للنسق الهندسي لدى سبينوزا

المبحث الثالث: الأخلاق مبرهنا عليها على النهج الهندسي

المطلب الأول: أنماط التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم

المطلب الثاني: النمط الهندسي للإنسان وتغير الذات

الفصل الثاني: الأخلاق ودراستها على الطريقة الهندسية لدى باروخ سبينوزا

لقد أسس "سبينوزا" النظرة الفلسفية العلمية لمجال الأخلاق، فهو يرفض تماما ما قام به الفلاسفة التقليديين من تفرقة بين مجال نظرية المعرفة الخالصة وهي (الميتافيزيقيا)، ومجال المعرفة العلمية وهي (الأخلاق).

فأخلاق "سبينوزا" ليست مبحثا من فلسفته وفقط، بل إن فلسفته كلها تعد أخلاقية في مبادئها وأسسها وفي أبعادها وأهدافها، فأبحاثه الأولى لعلم الأخلاق "تعرض المبادئ الميتافيزيقية التي تقوم عليها المبادئ الأخلاقية، فضلا عن كون المطلوب من هذه الأبحاث هو بيان ما ينبغي معرفته لكي يصبح المشروع الأخلاقي ممكنا"[1]، أي أن تكون نظرتنا إلى الطبيعة في مجموعها نظرة علمية لا تمتزج بها خرافات، أو ترتكز على كيانات أسطورية، فما هو الأساس الذي اعتمده "سبينوزا" في نظريته الأخلاقية؟ وبما أن العلم والمعرفة يفتحان لنا أبواب الأخلاق مثلما تمهد الأخلاق الطريق للمعرفة، فكيف مهد "سبينوزا" دراسته للأخلاق وفق قواعد الهندسة؟

[1] سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص16.

المبحث الأول: تأسيس الأخلاق عند سبينوزا

تختلف دراسة الأخلاق عند "سبينوزا" عن غيره من الفلاسفة، حيث "إن أخلاق سبينوزا تسير مع فكرته فيما وراء الطبيعة. فكما أن العقل في الميتافيزيقا يحاول أن يدرك القانون الكامن وراء الأشياء الجزئية التي تقع تحت الحس، فو يقرر هنا أن العقل يجب أن يضع قانونا ينظم رغبات الانسان المتنافرة" [1]، كما أن "سبينوزا" يجعل السعادة هدفا للأخلاق، حيث ان "السؤال الذي كان سبينوزا يطرحه على نفسه فهو ليس: ماذا يجب أن أفعل؟ وانما: ماذا يجب أن أفعل كي أفوز بالسعادة؟"[2]، ومن هنا فإني سأتناول في هذا المبحث مفهوم الأخلاق عند "سبينوزا" وكذا مفهوم العقل والأخلاق عند "سبينوزا".

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق عند سبينوزا

إن الأخلاق* في فلسفة "سبينوزا" هي ليست عنصر من فلسفته، بل فلسفته تعتبر كلها أخلاقية في مبادئها وخلفياتها وفي أهدافها ومساعيها، لأن طموح "سبينوزا" هو إرشاد الإنسان إلى سبيل الخلاص، "ولن نحيد عن الصواب إذا عرّفنا الأخلاق السبينوزية بأنّها أخلاق السعادة، وفلسفته بأنّها فلسفة الفرح، باعتبار أن الطرح الأخلاقي لقضية الروح والسعادة في كتاب علم الأخلاق لا يخرج عن نطاق التساؤل الآتي: كيف أضمن لنفسي أكبر عدد من انفعالات الفرح وأقل عدد من انفعالات الحزن؟" [3].

وبما أن انفعالات الفرح والحزن ترتبط ارتباطا وثيقا بالعالم ومدى تأثرنا به، فإن للطبيعة أو الله – بما أنهما كل واحد عند سبينوزا – دور كبير في تغير هذه الانفعالات من الفرح الى

---

[1] وِل ديورانت، المرجع السابق، ص143.

[2] سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص16.

* الأخلاق: هي "جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أم مذمومة، فتقول فلان كريم الأخلاق، أو سيء الأخلاق (...) ويسمى علم الأخلاق بعلم السلوك، أو تهذيب الأخلاق، أو فلسفة الأخلاق (Ethique)، أو الحكمة العملية، أو الحكم الخلقية". أنظر: – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 01، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1982، ص 49.

[3] المصدر نفسه، ص ص16–17.

الحزن أو على العكس من ذلك، "ومن هذا المنظور نفهم لماذا يستهل سبينوزا كتاب الاتيقا بالنظر في طبيعة الله وفي أمور ما بعد طبيعة أخرى مثل: الجوهر، الصفة الحال، العلة الذاتية، إلخ، قبل أن يتناول بالدرس القضايا الأخلاقية التي يوحي بها عنوان كتابه (...) الأخلاق التي كما هو معلوم تتأسّس على الميتافيزيقا والفيزيقا" [1].

بدأ "سبينوزا" البحث بأن اتخذ السعادة غرضاً للأخلاق، وعرف السعادة بأنها وجود اللذة وانتفاء الألم، ولكن اللذة والألم نسبيان وليسا مطلقين، بل ليست اللذة والألم حالتين معينتين ولكنهما حالتا انتقال " فاللذة هي انتقال الإنسان من حالة كمال أدنى إلى حالة أعظم كمالا" "والألم هو انتقال الإنسان من حالة كمال أعظم إلى أخرى أقل كمالا"[2].

هنا نلاحظ الفرق بين كل من اللذة والألم والذي أراد من خلالها سبينوزا أن يعرف لنا السعادة، بحيث أنه كل ما كان هنالك لذة ما نحو شعور معين توجد السعادة وعلى النقيض من ذلك إذا غابت تلك اللذة غابت السعادة. ويضيف قائلا: "إن اللذة انتقال ، لأن اللذة ليست الكمال ذاته : فإذا ولد إنسان كاملاً ما شعر بعاطفة اللذة ، ونقيض هذا يزيد الأمر وضوحاً فالعواطف والمشاعر هي في حقيقة أمرها تحرك وانتقال نحو الكمال والقوة ، أو منهما فنازلا . يقول سبينوزا : « أنا أفهم من العاطفة emotion أوضاع الجسد التي تزيد فيه أو تنقص منه قوة العمل ، والتي تعاون أو تعطل هذه القوة، وأفهم منها في الوقت نفسه الأفكار والتصورات التي تصحب تلك الأوضاع » فالعاطفة أو الشعور لا يكون خيراً أو شرا في نفسه، ولكن بمقدار ما ينقص من قوتنا أو يزيد، وإني لأقصد معنى واحداً من لفظتي القوة والفضيلة إذ الفضيلة عندي إنما هي قوة العمل، وإذن فهي ضرب من القوة فكلما استطاع الإنسان أن يحتفظ ببقائه وأن يبحث عما ينفعه كان قسطه من الفضيلة أعظم [3].

[1] سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، تر جلال الدين سعيد (تونس) دار الجنوب للنشر، د س، ص 19.

[2] زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، 1936، ص 161.

[3] المرجع نفسه، ص ص161-162.

المطلب الثاني: العقل والأخلاق لدى سبينوزا

للأخلاق الكاملة أو بعبارة أخرى للمثل الأعلى للأخلاق صور ثلاث: أولها ما دعا إليه بوذا والمسيح، من رحمة ولين، واعتبار الناس جميعاً سواسية لا يمتاز رجل عن رجل، وهما يدفعان الشر بالخير، ويوحدان بين الفضيلة والحب، ويميلان في السياسة إلى الديمقراطية المطلقة. وثانيها ما دعا إليه ماكيافلى ونيتشه، من تحبيذ القوة وعدم المساواة بين الناس، وهما يدعوان إلى القتال، إذ يريان أن فيما فيه من أخطار وانتصار لذة الحياة كلها، وعندهما أن الفضيلة هي القوة، ويناديان في السياسة بتسليم الحكم إلى طبقة أرستقراطية. وثالثها أخلاق سقراط وأفلاطون وأرسطو، الذين ينكرون إمكان تطبيق أحد المثالين السابقين تطبيقاً مطلقاً عاما، فلا القوة وحدها ولا الرحمة وحدها تستطيع أن تسود، وهم يعتقدون أن العقل المثقف الناضج وحده هو الذي يستطيع أن يحكم تبعاً للظروف المختلفة متى يجب أن يسود الحب ومتى ينبغي أن تتحكم القوة ، وهم بذلك يوحدون بين الفضيلة والعقل ، ويرون أن تكون الحكومة السياسية مزيجاً من الأرستقراطية والديمقراطية تلك صور ثلاث من الأخلاق المثالية كما رآها الفلاسفة في عصور مختلفة، وقد تناولها سبينوزا فآخى بينها وأدمجها جميعاً في وحدة منسجمة، فأنتج للإنسانية نظاماً للأخلاق هو أسمى ما سما إليه الفكر الحديث [1].

هذه هي الأشكال الثلاث للأخلاق المثالية التي دعا إليها بوذا والمسيح وفلاسفة من أمثال ماكيافيللي ونيتشه وسقراط وأفلاطون وأرسطو، فالفضيلة في الشكل الأول للأخلاق هي المحبة والرحمة، والفضيلة في الشكل الثاني للأخلاق هي القوة والفضيلة في الشكل الثالث للأخلاق هي العقل، ويأتي "سبينوزا ويوفق بحركة لاشعورية منه بين هذه الصور الفلسفية المتنافرة المتضاربة ويحبكها في وحدة منسجمة، ويقدم لنا نظاما اخلاقيا يعد أسمي ما وصل إليه الفكر الحديث" [2].

[1] زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 161.

[2] ول ديورانت، المرجع السابق، ص 226.

انطلاقا من هذا الطرح نستطيع القول إن "سبينوزا" قد وفق بين كل من فلسفة بوذا وفلسفة مكيافيلي ونيتشه، وفلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو، وهذا التوفيق أدى بسبينوزا إلى خلق فلسفة ونظام أخلاقي منسجم.

إن أخلاق "سبينوزا" تنسجم مع فكرته فيما وراء الطبيعة، فكما قرر في الميتافيزيقا أن الفلسفة الصحيحة تحاول أن تدرك القانون الكامن الذي يقف وراء الأشياء الجزئية التي تقع تحت الحس، فهو يقرر هنا أيضا أن على الفلسفة أن تضع قانوناً يضبط رغبات الإنسان المتنافرة، وبعدئذ بإمكان الإنسان أن يسلك سلوكا يتوافق مع ما يمليه العقل الذي يساعدنا على أن ننظر للمواقف المختلفة نظرة واسعة شاملة تنفذ بمساعدة الخيال إلى أبعد النتائج. فبالعقل والخيال معاً يستطيع الإنسان أن يتنبأ بما يمكن أن يحدث، وبهذا يملك القدرة على أن يتحكم في مستقبله وأن يحرر نفسه من العديد من القيود [1].

بهذا وفقط يضمن الانسان حريته، ذلك لأن الحرية بمعناها الحقيقي تتمثل في إحكام العقل وفاعليته وهي أيضا "التخلص من اغلال العواطف العمياء التي لا تسترشد بهدى العقل. ولن يكون الانسان حرا الا بقدر ما هو عالم عاقل. ولكي تكون انسانا كاملا لا ينبغي ان تتحرر من قيود المجتمع ونظامه، لان سمو الانسان هو في التحرر من فردية الغرائز وتحكمها، وبهذا وحده يكمل الانسان الحكيم. الذي تحدث عنه ارسطو. وهو اقل من الانسان الاعلى المثالي الذي تحدث عنه نيتشه، ولكنه أكثر ألفة وهدوءا واتزانا عقليا" [2].

يحتل العقل عند سبينوزا مكانة عالية تجعله يحتل المركز في فلسفته الأخلاقية، وحوله يقول سبينوزا: "انّ العقل لا يطالب بشيء مناقض للطبيعة، وبالتالي فهو يدعو إلى أن يحبّ كل امرئ نفسه وأن يبحث عن منفعته الخاصة وعما يفيده حقا، وان يرغب في كل ما يقود الإنسان فعلا إلى كمال أعظم، وبصورة مطلقة أن يسهر كلّ واحد على حفظ كيانه بقدر ما

[1] زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص 166.

[2] وِل ديورانت، قصة الفلسفة، المرجع السابق، ص 231.

هو فيه (quantum in se est). وهذه الحقيقة لا تقل لزوما عن الحقيقة القائلة إن الكل أعظم من الجزء" [1].

المبحث الثاني: بناء المنهج الهندسي عند سبينوزا

في هذا المبحث سنتطرق إلى الأسس الابستيمولوجية للمنهج الهندسي عند "سبينوزا" وإلى العناصر المشكلة للمنهج الهندسي لدى سبينوزا والتي تتمثل في كل من: التعريفات، البديهيات والبراهين.

المطلب الأول: أسس المنهج الهندسي

يعد سبينوزا ممثلي الاتجاه العقلي، حيث ينتمي إلى المدرسة العقلانية التقليدية لذا نجده متأثرا بديكارت، بحيث يعد سبينوزا "الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يطبق المنهج الديكارتي تطبيقاً جذرياً في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه، خاصة في مجال الدين (...) لذلك كانت هناك محاولات عدة لاغتياله في حين أن ديكارت كان صديقاً لرجال الدين الذين كانوا يجدون في منهجه، باعتراف ديكارت نفسه، دعامة للدين، ونصرة لعقائده" [2].

لقد كان سبينوزا ينعت نفسه بأنه يمثل نظام عقلاني متكامل، إذ إنه تأثر بالرياضيات خاصة أصول هندسة إقليدس، حيث أكد "سبينوزا" على أنه يجب علينا وقبل أي شيء التفكير في وسيلة لشفاء العقل وتطهيره قدر المستطاع حتى يوفق في إدراك الأمور على أحسن وجه ودون أخطاء. ويظهر بوضوح من الآن، في نظر كل واحد، أنه يريد توجيه جميع العلوم نحو غاية واحدة وهدف أوحد، وهو بلوغ ذلك الكمال الإنساني الأعظم الذي تحدث عنه، وبالتالي يجب أن يطرح عرض الحائط كل ما لا ينفع في العلوم [3].

---

[1] سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص 278.

[2] سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، المصدر السابق، ص9.

[3] سالي محسن لطيف، أنماط التفكير الهندسي وحضورها في فلسفة سبينوزا، مجلة آداب المستنصرية، العدد 103، الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم الفلسفة، 2023، ص 585.

إذن المنهج الهندسي الذي يريده سبينوزا يرتكز على العقل الخالي من أي شوائب تشوه قدرته الفعالة في الوصول إلى اليقين، وهذا العقل أيضاً هو الذي يوصلنا إلى رقي الوعي الإنساني [1].

لقد اهتم سبينوزا بالمنهج الهندسي أشد الاهتمام في كتابه الأخلاق الذي يلخص ويجمع كل ما جاء في كتبه السابقة، مثل إصلاح العقل والرسالة اللاهوتية السياسية، "وقد نهج فيه المنهج الهندسي، وهو المنهج اللائق بمذهب وحدة الوجود (...) ولأن اتجاهه الأساسي أخلاقي كما هو الحال عند الرواقيين والطريقة القياسية فيه مفتعلة، يتناول الفيلسوف الظواهر المعلومة بالملاحظة الظاهرة أو الباطنة، وهي كثيرة، فيحولها إلى نتائج أقيسة تحويلاً صناعياً" [2]. فالشكل الهندسي عنده لا تكون فيه عمليات الارجاع إذ يكون حضور المثال العقلاني للعقل الذي يمكن ان يأخذه في شبكة عقلية واحدة وتكون استنتاجية.

وهكذا كانت نقطة انطلاق سبينوزا المنهجية هي التأمل في ذلك المنهج الديكارتي، فهناك ارتباط منهجي وثيق بين الحقائق عند ديكارت، حيث يبدأ سبينوزا بأفكار واضحة ومتميزة، فقد سعى منذ البداية نحو التأسيس للعلمية في أن يكون موضوعيا ملتزماً بالطريقة العلمية التي تفرض عليه عدم الحاجة إلى إسقاط الذات وجعلها هدفا في النتائج، بل جعل الموضوعية هي الهدف الأساسي للمعرفة العلمية. فمن المعروف أن الإدراك الحسي للأشياء يختلف باختلاف العوامل المحيطة، مثل وضع المشاهد من الشيء المدرك. وبذلك تكون مثل تلك الإدراكات متغيرة بتغير المدرك وتكون ذاتية أكثر منها موضوعية، وبالتالي يصعب التعبير عنها بوضوح والتميز بين العناصر الموضوعية التي يمكن التعبير عنها بالأساليب الرياضية لأنها تخص البنية structure التي تعود العلم التعبير عنها بالقوانين الرياضية. وهكذا تصبح الفيزياء رياضية لا لكوننا نعرف الكثير عن العالم الطبيعي، بل لكوننا نعرف القليل وأننا لا نكتشف

[1] المرجع نفسه، ص 586.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، د ط، 2012، ص 114.

من العالم غير صفاته الرياضية من هنا نجد أن سبينوزا وجه التفكير وجهة أنطولوجية بأليات رياضية لتأزيم المفارقات اللاهوتية، وإبراز حدود المنهج الديكارتي وفتح إمكانات التفكير [1].

لقد اقتفى سبينوزا أثر فلاسفة عصره في انتهاج طريقة خاصة بالبحث وكانت الرياضيات قد استهوته كما استهوت ديكارت وهوبز (1588-1679م) Thomas Hobbes من قبل فاعتقد بأن الرياضيات هي المفتاح لحل أسرار الكون واكتشاف قوانينه واتخذ الهندسة نموذجاً بنى على غرارها فلسفته. فكما أن الهندسة تبدأ بقضايا صادقة بذاتها، كذلك البحث عن الحقيقة ينبغي أن يبدأ بقضايا صادقة بذاتها تتخذ نقطة انطلاق في بناء المعرفة البشرية التي ترمي إلى تحقيق سعادة قصوى دائمة متصلة للناس جميعاً. وإذا كان ديكارت قد وجد في النفس أو الأنا نقطة امتداد لفلسفته فإنّ سبينوزا وجد في الله نقطة ابتداء انطلق منها لبناء المعرفة [2].

تجدر الإشارة إلا أن سبينوزا حاول بناء فلسفته الأخلاقية مستعيناً بالمنهج الهندسي، وقد ساد في عصره هذا الاتجاه الذي عرف بالرياضيات الشاملة Mathesis Universalis التي يقصد بها محاولة الفلاسفة توسيع مجال الرياضيات بتطبيقها على مفاهيم خارج حدود المعرفة الرياضية، وإخضاع هذه المعرفة إلى شروط الاستدلال ومنهجية الاشتقاق [3].

وهكذا أراد سبينوزا أن يؤسس منهج الدراسة الفلسفة وهو المنهج الاستنباطي الرياضي الذي ينتقل فيه العقل من قضايا واضحة بذاتها كمقدمات إلى قضايا مستنبطة رياضياً تمثل النتائج.

ينطلق سبينوزا من أن الترتيب السليم للتفكير الفلسفي الصحيح يتطلب البدء انطولوجيا ومنطقيا بالله، وقد أجاز لنفسه أن يقول: إن الفلاسفة المبتذلين يبتدئون بالمخلوقات، في حين

[1] محمد مسيكة وسهيدة لعموري، الأسس الديكارتية للمنهج الهندسي عند باروخ سبينوزا، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 16، العدد 02، ص 98.

[2] المرجع نفسه، ص 98.

[3] ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ط 02، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2012، ص 14.

ابتدأ ديكارت بالروح، أما أنا، فإنني ابتدئ بـ "الله" أو "الجوهر" فقد رأى أن هناك إدراكات تتعلق بعالم الحس والتجربة، وإدراكات تتعلق بالعقل، هذه الأخيرة أكثر يقينا، أما المصدر الحقيقي والأول لأفكارنا فهو الله أو الجوهر، وعن الجوهر يصدر ما يعرف بالأحوال بدل الأعراض، لكون الأحوال في نظر سبينوزا – أكثر ايجابية من الأعراض، ذلك أن الأعراض لا تقوم بذاتها في وجودها. والأحوال قد تكون غير متناهية، وهي الأقل درجة من الله وتأتي مباشرة بعده وأحوال متناهية، تتعلق بالأشياء المادية [1].

إن أساس المنهج عند سبينوزا هو تشخيص للفكرة الصحيحة من خلال تمييزها عن الادراكات الأخرى، وذلك من خلال تفحص طبيعتها، ((من أجل أن نعرف بذلك قوة فهمنا، ولندرب عقلنا على أن يكون مدركا – من خلال معيار معين لكل ما هو واضح ومفهوم، من خلال وضع قوانين معينة كإرشادات، وتجنب الجهد الذهني غير المجدي، فالمنهج عند سبينوزا هو المعرفة التأملية أو فكرة الفكرة، حيث يقول سبينوزا في "رسالة في إصلاح العقل" "والآن، بعد أن عرفنا أي نوع من المعرفة يلزمنا، يجب أن نشير إلى السبيل والمنهج اللذين سيقوداننا إلى معرفة الأشياء الواجب معرفتها بهذا النوع من المعرفة. لذلك لا بد أن نلاحظ، بادئ ذي بدء أن البحث لن يتواصل هنا إلى ما لا نهاية له، وأن الكشف عن أفضل طريقة للبحث عن الحقيقة لن يجعلنا بحاجة إلى طريقة أخرى نبحث بها عن طريقة البحث تلك ولا إلى طريقة ثالثة للبحث عن الطريقة الثانية وهكذا دواليك بلا نهاية، وذلك لأننا لن نصل أبدا بهذا النحو إلى معرفة الحقيقة ولا حتى إلى أية معرفة" [2].

إن اكتشاف المنهج عند سبينوزا يلازم اكتشاف الحقيقة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن العقل لا ينتقل من المنهج إلى الحقيقة، إذ يفترض أن تسبقه فكرة صادقة موجودة من قبل، وبهذا الصدد يقول سبينوزا: " تختلف الفكرة الصادقة (إذ نملك فكرة صادقة) عما هي

[1] محمد مسيكة وسهيدة لعموري، الأسس الديكارتية للمنهج الهندسي عند باروخ سبينوزا، المرجع السابق، ص 98

[2] سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، المصدر السابق، ص 35.

فكرته فالدائرة شيء، وفكرة الدائرة شيء آخر غيرها. وفعلا ليست فكرة الدائرة شيئا يملك مركزا ومحيطا كالدائرة نفسها كما أن فكرة الجسم ليست الجسم نفسه. ولما كانت الفكرة الصادقة مختلفة عما هي فكرته، كانت أيضا شيئا معقولا بذاته، أي أنه يمكن للفكرة، من حيث ماهيتها الصورية أن تكون موضوعا لماهية موضوعية أخرى، وأن تكون هذه الماهية الموضوعية بدورها، منظورا إليها في ذاتها شيئا واقعيا ومعقولا، وهكذا بلا نهاية... وهذا معناه أني لست بحاجة كي أعرف أن أعرف أنني أعرف، ولا أن أعرف أنني أعرف أنني أعرف، تماما مثلما أني لست بحاجة، كي أفهم ماهية المثلث، أن أفهم ماهية الدائرة" [1].

وقد رأى سبينوزا أن الفكرة الصادقة هي التي تكفل ذاتها بذاتها، فلا تفتقر إلى ما يضمن صدقها، وإلا تؤدي بنا إلى مراجعة لا متناهية وبالتالي إلى الشك المطلق. ذلك أنه إذا أردنا أن نعرف فكرة صادقة ما فلا نحتاج إلى معرفة فكرة أخرى المعرفة فكرة الأولى ولا إلى فكرة ثالثة لمعرفة الفكرة الثانية هكذا إلى مالا نهاية كريم.

المطلب الثاني: العناصر المشكلة لنسق المنهج الهندسي لدى سبينوزا

من خلال ما سبق ذكره حول الأسس المشكلة للمنهج الهندسي، نستطيع القول ان المنهج الهندسي عند سبينوزا هو عبارة اتساق في كتلة العلاقات وهذا الاتساق إتخذه من فلسفة إقليدس وكذلك قوة تأثره بالمنهج الديكارتي، وتبعا لهذا علينا أن نتطرق لأهم العناصر المشكلة لهذا المنهج وهي كالتالي: التعريفات، البديهيات، البراهين.

1) <u>التعريفات:</u>

تعتبر التعريفات بمثابة حجر الأساس للنظام أو المنهج عند سبينوزا، فهي تشرح نظريته في المنهج وفي المعرفة، وكذلك النفس البشرية وطبيعتها، وهي تشير إلى مضمون القضايا عنده كما تعطي للقارئ فهما للخصائص العامة بكل قضية. وللتعاريف وظيفة ديناميكية، فهي تشكل

[1] المصدر نفسه، ص ص36-37.

نقطة الانطلاق الأولية لمنهج سبينوزا، وبدونها لا يمكن فهم القضايا والعروض اللاحقة في كتابه.

إن التعريف يحدد جوهر الشيء وماهيته، وما إلى ذلك، حيث يسمح للمرء باستنتاج الخصائص الضرورية التي ينتمي إلها هذا الشيء، ومن هذا التعريف يمكن استنتاج كل خصائص الشيء والتعريفات الهندسية (geometrique) في معجم الفلسفي، وهي التي تستخدم مادة للعلم وتكون مقدمتها تجريبية، وهي التي تلخص المعارف التي حصلنا علها بواسطة الاستقراء في علم ما.[1]

إذا نظرنا في فلسفة إسبينوزا من خلال منهجها الهندسي لوجدنا أن التعريف الصحيح لمصطلحاتها ينبغي أن يستغرق الجانب الأكبر من أي عرض لهذه الفلسفة، بل إن أوجه هذه الفلسفة لا تعدو أن تكون إيضاحا للمعاني السبينوزية الخاصة المصطلحات مألوفة مثل الجوهر أو الله أو الطبيعة، والحرية والضرورة والأزلية والتقوى والخير والكمال والواقع .. إلخ.[2] فخير عرض وأكمل شرح لهذه الفلسفة هو ذلك الذي يركز اهتمامه في تحديد معاني هذه الألفاظ. وهكذا فإن مشكلة التعريف بالمصطلحات في بمعنى معين مشكلة عرض فلسفة سبينوزا بأسرها. وعلى الرغم من كثرة التعاريف وتشعبها، لكن لا مفر من أن تبدأ بإيضاح موجز لبعض التعاريف الرئيسية التي يستخدمها سبينوزا، وتبعا لذلك ستكون للتعريف قواعد يجب مراعاتها يمكن أن نجملها على النحو التالي، فإذا كان الشيء مخلوقاً روعيت في تعريفه القواعد التالية:

- ☒ إذا كان الشيء مخلوقا، فان تعريفه يجب ان يدرك علته القريبة.
- ☒ ان مفهوم او تعريف الشيء يجب ان يجمع كل خصائصه.
- ☒ إذا كان التعريف لشيء غير مخلوق فيجب استبعاد فكرة أي علة.

[1] محمد مسيكة وسهيدة لعموري، المرجع السابق، ص 100.

[2] المرجع نفسه، ص 100.

☒ عند اعطاء تعريف للشيء، يجب ان لا يترك مجال للشك حول وجوده.

☒ انه يجب الا يحتوي اسماء يمكن ان توضع بصورة وصفية.

ومن هنا لابد التمييز بين نوعين من التعريف التعريف الصوري (formal definition) والتعريف السيمانطيفي، الذي يمثل قاعدة تسمح لنا بتحسين معنى الرمز الذي نريد تعريفه او توضيح معناه.

ويقول سبينوزا: "لكي يكون التعريف كاملا يجب أن يوضع الماهية الداخلية للشيء، ويجب أن يحرص على عدم الاستعاضة عن هذه الماهية بأي شيء حتى خاصيتها"[1]

2) **البديهيات:**

وترجع أهمية النظام البديهي عند "سبينوزا" الى الامكانية التي يقدمها هذا النظام في تنظيم الادراكات والاسلوب الذي تنظم وتتوحد به، لذلك نرى انه يؤكد قبل كل شيء على وجوب الاستدلال، لأن البديهيات امتداد غير متناه، ولا توجه العقل للتأمل بشيء خاص معين أكثر من غيره.

وبذلك نستطيع القول " بديهيات سبينوزا انتظمت بطريقة أكسوماتيك متعلق بأخذ حدود لاهي منطقية، ولا رياضية، على غرار الحدود المستخدمة في الأخلاق، بل هي اسمية (nominal)، فالطريقة البديهية التي يتبناها سبينوزا في منهجه الهندسي تقوم على تجريد المعاني الحسية المرتبطة بالحدود الأولية التي يوضحها في تعريفاته، وبالعلاقات الأساسية الرابطة بين هذه الحدود على وفق نظام الأسباب الذي يقترحه في فلسفته جملة، وبالتالي سوف يتركز اهتمامه هنا بالأبنية الصورية فقط، إذ أن هذا الاهتمام سيكون كافيا لتكوين أفكارا صحيحة، ومنه فليست هناك حاجة بعد ذلك لفهم سلسلة الأشياء المتغيرة الخاصة –على حد تعبيره، ويعتقد سبينوزا أن حقيقة البديهيات لا تتطلب دليلاً مستقلاً، ولكن يجب أن تحقق

[1] شاخت ريتشارد، رواد الفلسفة الحديثة، تر: حمدي محمود أحمد، مطابع الهيئة المصرية العامة، مصر، 1998، ص92.

البديهية شرط الوضوح لأي عقل، أي أن البديهيات لا تنطوي على شروط في وضوحها، ولا يمكن لأي شخص إنكارها لأنها معقولة وبصورة واضحة [1].

3) <u>البراهين:</u>

إن البرهان هو التمشي العقلي الذي نستدل به على صدق حكم أو قضية، وتسمى الاستدلالات التي يبنى عليها البرهان حججا ويفترض في الحجج أن تكون صادقة وغير متضمنة لمعلومات تفترض القضية المراد البرهنة عليها، والا وقعنا فيما يسمى بالمصادرة على المطلوب. وقد يكون البرهان عرضة لأخطار معينة بسبب قبول حجج لا أساس لها أو خاطئة. والبرهان الذي يحتوي على خطأ يكون برهانا فاسدا [2].

لقد اتخذ البناء البرهاني عند "سبينوزا" أسلوبا يتلخص بتعيين اللامعرفات أولا: تم تعريف الافكار التي تأتي بعدها، ثم الانتقال بعدها الى تعريف الافكار الاخرى بالأفكار التي سبقتها حتى يتم البناء اجمعه فنراه إذا اراد البرهان على فكرة ما مشتقة من النظام فما عليه الا ارجاع هذه الفكرة الى الافكار التي استخدمت في تعريفها، وارجاع هذه الافكار التي سبقتها، وهكذا. ويسمى هذا النوع من البرهان بالإرجاع او الرد (Reduction).

نستنتج مما سبق ان الهندسة نموذج العلم الكامل منذ ان وضع اقليدس مبادئ هذا العلم في القرن الثالث ق.م والحقيقة ان (الاخلاق) سبينوزا تتبع طريقة اقليدس في كتابه (العناصر) وبعد "سبينوزا " نجد ان "نيوتن" في تأسيسه لعلم الطبيعة قد استند على نفس الاسلوب ليس غريبا ان يتبع المرء المنهج الهندسي في عرض علم الهندسة او علم الفيزياء، ذلك لان هذا المنهج مناسب تماما لهذين الموضوعين، والغريب حقا ان يتبع فيلسوفا هذا المنهج في عرض فلسفته المكونة من ميتافيزيقا وابستمولوجيا والاخلاق.

[1] محمد مسيكة وسهيدة لعموري، المرجع السابق، ص 101.

[2] جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1994، ص 78.

وذلك لاعتقاده الجازم بان المنهج الهندسي يمكن الوصول الى حقيقة والدقة العلمية والمنهجية التامة، متبنيا وجهة النظر اليونانية القديمة القائلة ان العالم ينظم بصورة هندسية ورياضية، قوامها النظام والانسجام والدقة وان الانسان جزء من هذا العالم، وإذا اراد تنظيم حياته وسلوكه واخلاقه ومعتقداته، فيجب عليه ان يتيح للعقل فرصة كي يضفي نفس النظام والانسجام والدقة الموجودة في الكون، لم يكن سبينوزا يفصل بين عقلانية تسود عالم الطبيعة، وعقلانية أخرى تسود عالم الانسان.

وفي الاخير، لا يمكن ان نميز بينهما الا على اساس تمايز، صفاتهما، ولان الجوهر الحقيقي يحتوي على كل الصفات وعلى راسها الفكر والامتداد، فمعنى هذا انه لا يمكن ان يكون هناك جوهر اخر بجانبه يحتوي على صفة مختلفة، ويشبه هذا البرهان الافكار التي قدمها فلاسفة العصور الوسطى المسيحيون والمسلمون حول وحدانية الاله، وهو عدم وجود إله آخر بجانبه، بل استحالة وجود الهين الله هو جوهر كل شيء وعلنه، لا يعمل شيئا لغاية وان ما يوجد لا يوجد الا فيه. وكل ما يوجد انما يوجد با لفاعلية الضرورية لذاته كل ما يوجد اذن لا يمكن ان يوجد أنها تعد المرء هكذا لان يربط يكشف نفساني وباطني كل ظاهرة كونية بهذه العلة الأولى التي يتعلق بها كل شيء بالضرورة [1].

إذا تطرقنا لمفهوم الامتداد في ذاته وجدنا ان خاصيته الاساسية تتمثل في ابعاد الهندسية والحيز الذي شغله من المكان ايضا هو عبارة عن حيز هندسي يمكن ان تقاس وتحكمه القوانين الرياضية، لكن العلاقات الرياضية الهندسية التي تميز الامتداد. هي ذاتها، نوع من الفكر، هذا بالإضافة الى ان القوانين الفيزيائية والكيميائية التي تحكم تفاعلات الجسم وحركات الاجسام هي ايضا نوع من الفك، بالتالي فان الماهية الحقيقية للامتداد في فكر، ومن جهة اخرى فان الفكر كذلك يحتوى على الامتداد حتى على مستوى الافكار المجردة، وفي المنطق يميز بين المفهوم والمصادق، المفهوم هو معنى الكلمة الذي تتوصل اليه بالتعريف، اما الما

[1] اندرية كارسيون، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحميد محمود، مهرجان القراءة للجميع، ص252.

صدق فهو الاشياء التي ينطبق عليها هذا المفهوم، فلكل مقولة فكرية امتدادها من الما صدقات وبالتالي فالامتداد صفة للفكر نفسه، وهكذا نظر سبينوزا الى الفكر والامتداد على انهما شيء واحد فالفكر له امتداده من الما صدقات والامتداد نفسه ليس الا البعد الهندسي الرياضي الذي ليس سوى فكر.

المبحث الثالث: الأخلاق مبرهنا عليها على النهج الهندسي

سنبحث هنا عن أنماط التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم، وكذا عن النمط الهندسي للإنسان وتغير الذات.

المطلب الأول: أنماط التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم

عرف ديكارت الجوهر بأنه شيء موجود لا يتطلب شيئا سوى ذاته لكي يوجده؛ ويقبل إسبينوزا هذا التعريف ويبين أن هذا الموجود لابد أن يكون أساس وعلة وجوده؛ أي لابد أن يكون لا متناهيا، وإلا اعتمد على شيء آخر، ومثل هذين الجوهرين لا يمكن أن يوجدا؛ لأنه إذا اعتمد بعضهما على بعض سيتحدد كل منهما عن طريق الآخر ولا يكونان لا متناهيين بالفعل ولذلك لا يمكن أن يكون هناك سوى جوهر واحد لامتناه وكامل وشامل كل الشمول ومكتف بذاته وهذا الجوهر هو بالتالي الحقيقة الوحيدة الأساسية في الكون. وهذا الجوهر أزلي؛ لأنه إذا لم يكن كذلك، سيسبقه شيء آخر ويكون علة، وجوده، ولا يكون مكتفيا بذاته ولابد أن يكون كاملا وتاما، وإلا سيكون متناهيا ومحدوداً. ولأنه كامل فلا يمكن أن يتغير على الإطلاق، لأن التغير هو انتقال شيء ليس كاملا ولابد أن ينظر إلى هذا الجوهر بالتالي على أنه الطبيعة أو الله والكلمات الثلاث الجوهر والطبيعة والله تدل على نفس الموجود. ويقدم أسبينوزا أربعة أدلة على وجود الله. . وجميع هذه الأدلة تذكرنا بديكارت على الرغم من أنها وضعت بصورة

مختلفة لكي تنسجم مع فلسفة سبينوزا، كما أنها كانت -إلى حد ما -نتيجة لتأثير الأفكار وأحوال التعبيرات التي ورثها من الفلسفة اليهودية في العصر الوسيط [1].

فالله عند سبينوزا كما جاء في كتابه علم الأخلاق:[2]

- أعني بعلة ذاته ما تنطوي ماهيته على وجوده وبعبارة أخرى، ما لا يمكن لطبيعته أن تتصور إلا موجودة.
- يقال عن شيء إنه متناه في ذاته عندما يمكن حده بشيء آخر من نفس طبيعته يقال مثلا عن جسم من الأجسام إنه متناه لأننا نتصور دائما جسما آخر أعظم منه؛ والفكر أيضا إنما يحده فكر أخر لكن الجسم لا يحده الفكر. والفكر لا يحده الجسم.
- أعني بالجوهر ما يوجد في ذاته ويتصور بذاته أي ما لا يتوقف، إنشاء تصوّره على تصور شيء آخر.
- أعني بالصفة ما يدركه الذهن في الجوهر مقوما لماهيته.
- أعني بالحال ما يطرأ على الجوهر، وبعبارة أخرى ما يكون قائما في شيء غير ذاته ويتصور بشيء غير ذاته.
- أعني بالإله كائنا لا متناهيا إطلاقا أي جوهر يتألف من عدد لا محدود من الصفات تعبر كل واحدة منها عن ماهية أزلية لا متناهية.

لم يكن نمط التفكير الهندسي حول (الله والعالم) God and World تقليدياً، وإنما حاول أن يضع نمطاً مخالفاً لما كان سائداً في تلك الفترة وحتى في وقتنا الراهن نجد أن لسبينوزا لونه الخاص في رسم معالم تفكيره، (فالله) عند سبينوزا مبدأ ميتافيزيقي نبني من خلاله نظرية كاملة

[1] وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، ط 01، التنوير للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، 2010، ص ص117-118.

[2] سبينوزا، علم الأخلاق، مصدر سابق، ص ص29-30.

حول (الكائن) بكل ما يشوبه من موضوعات كمفهوم (الوجود) وأساس نظام الأشياء، بحيث أن صورته الكبرى تكون الإلهي وكل ما يتعلق فالله. هو (المحرك الأول) هو (الغاية الأخيرة) وهو في حياتنا العملية (مبدأ وقاضي الحياة الأخلاقية)، وهو (النفس) بوصفها خالدة [1].

بهذا التصميم كون سبينوزا نظامه الفكري حول الله فجعله البنى الأساسية لبناء كل فكرة تخرج إلى العالم. إذ إن الله عنده يتمثل في الطبيعة والكون والجوهر (Nature the universe and the essence) عقلي ومادي لأنه يمتد في المكان بوصفه شيئاً طبيعياً، وهو أيضاً لامتناه بوصفه شيئاً عقلياً، والعقلي لا يمكن أن يكون له تأثير على الطبيعي أو الطبيعي لا يؤثر على العقلي، وهذا ما يسمى بـ (مذهب التوازي الكلي) (The doctrine of total parallelism)، وهو يقابل مذهب التأثير المتبادل عند (ديكارت) والتوازي ليس توازيا تمثيليا لأنه نوع من التوازي الأكثر عمومية سواء كنا نتصور الطبيعة تحت سمة الامتداد أو الفكر أو أي سمة أخرى [2].

من هنا جاء العالم عند سبينوزا، ذلك العالم المادي الذي تكمن وراءه الحقيقة الشاملة المسماة بالجوهر (essence). ويقصد بالحقيقة، تلك الحقيقة الكائنة وراء الأشياء الموجودة في العالم. أما الأشياء التي تقع تحت عيننا الحسي فهي أعراض زائلة (فنحن وأفكارنا وأجسادنا ونوعنا الإنساني والأرض التي نعيش عليها ما هي إلا أعراض زائلة ناتجة عن حقيقة خالدة كامنة فيها [3].

إذن النمط الفكري الهندسي هنا يتعلق (بالقوة الكامنة) فينا وفي الظواهر المحيطة بنا ومقدار القوة التي يغرسها بنها الجوهر أو الله تمثل انعكاساً لقدرته الفائقة على الإبداع، وفي

[1] سالي محسن لطيف، المرجع السابق، ص 588.

[2] المرجع نفسه، ص 589.

[3] زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 79.

ذلك يقول سبينوزا " كل ما يوجد إنما يوجد في الله ولا يمكن لأي شيء أن يوجد أو يتصور بدون الله وهنا نصل إلى أن:

1. الجوهر على ذاته.
2. الجوهر لامتناه.
3. الجوهر واحد

وهذه هي صفات الجوهر، فالصفة هي ما يدركه العقل من الجوهر على أنه مكون لماهيته، والجوهر اللامتناهي حاصل على ما لا يتناهي من الصفات كل صفة منها تدل على ماهية سرمدية لامتناهية في جنسها [1].

ويبرهن (سبينوزا) على هذا من خلال ما يأتي: لو كان الجوهر الجسماني لا نهائي، فلنتصوره إذاً منقسماً إلى جزأين: أن كل جزء سيكون إما متناهياً وإما لا متناهياً، وفي ذلك خلف. أما في الحالة الثانية، فإنه سيوجد لا متناه أكبر مرتين من لا متناه آخر، وهذا لا يقل خلفاً عن الفرضية الأولى، وإضافة إلى ذلك، فإن كان قيس الكم اللامتناهي بواسطة إجزاء طول كل واحد منهما قدم، فإن هذا اللامتناهي سيكون مؤلفاً من عود لا محدود من تلك الأجزاء، ويمكن قول نفس الشيء إذا كان قيس اللامتناهي بواسطة أجزاء طول الواحد منها بوصه. وهكذا سيصبح عدد لا محدود أكبر اثنتي عشرة مرة من عدد لا محدود آخر [2].

المطلب الثاني: النمط الهندسي للإنسان وتغير الذات

لا زلنا نتكلم عن نمط التفكير الهندسي من وجهة نظر سبينوزا فكان لابد من إيجاد العلاقة بين هذا النمط وبين الذات، " لا يعرف الإنسان نفسه إلا من خلال انفعالات جسمه

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 118.

[2] سالي محسن لطيف، أنماط التفكير الهندسي وحضورها في فلسفة سبينوزا، المرجع السابق، ص 589.

وأفكارها، وعلى ذلك فعندما تستطيع النفس اعتبار ذاتها، فإنها تنتقل إلى كمال أعظم، أي أنها تشعر بالفرح. ويكون فرحها أعظم بقدر ما يكون تخيلها لذاتها ولقدرتها على الفعل أوضح ".[1]

بهذا النمط قام سبينوزا برسم المخطط الهندسي للإنسان وما يدور فيه من تغيير انفعالاته ودوافعه وبالتالي بناءه الفكري.

إن نظريته في الإنسان تقوم على مسلمات أساسية، فطبيعة الإنسان وماهيته لا تنطوي على الوجود، إذ يقول في البديهيات الخمس من الباب الثاني من الجزء الثاني في طبيعة النفس وأصلها:[2]

1. لا تنطوي ماهية الإنسان على الوجود الضروري، أي أنه يجوز وفق نظام الطبيعة، إن يوجد هذا الإنسان أو ذاك أو أن لا يوجد.

2. الإنسان يفكر.

3. لا توجد من أنماط التفكير، كالحب والرغبة أو كل ما يمكن أن يطلق عليه انفعالات النفس، إلا إذا وجدت لدى الشخص عينه فكرة ممثلة لموضوع الحب أو الرغبة الخ. لكن يمكن أن توجد الفكرة دون أن أي نمط آخر من التفكير.

4. إننا نحس بأن الجسم يتأثر بطرق عديدة.

5. إننا لا نحس ولا ندرك من بين الأشياء الجزئية غير أجسام وأنماط فكرية.

أراد أن يبين لنا سبينوزا في البديهيات الخمس التي ذكرها أن مجال التغيير الذاتي يكمن في المتغيرات التي تطرأ على الإنسان سواء كانت في الطبيعة أو في الانفعال أو في

[1] سالي محسن لطيف، أنماط التفكير الهندسي وحضورها في فلسفة سبينوزا، المرجع السابق، ص 593.

[2] سبينوزا، علم الأخلاق، مصدر سابق، ص 87.

الحس، والأساس الثابت فيه هو النمط الفكري الذي يكون قادراً على إعطاء المقدار أو المقياس للمحتوى الفكري الذي يريد بناءه.

ويعني هذا أن سبينوزا يعمل على استخلاص النتائج الأساسية التي تترتب على ذلك الموقف. فمثلاً إذا كانت ماهية الإنسان لا تنطوي على الوجود – كما في البديهية الأولى* – فهي إذن لا تنطوي على الوجوب. لأن الواجب الوجود هو (الجوهر) الذي يلزمه الوجد بالضرورة وهذا راجع إلى نظام الطبيعة فهو المتحكم في الوجود من عدمه.

أي أن حقيقة الإنسان من حيث هو ماهية لا يستطيع أن يوجد وأن يستمر في الوجود إذا لم يكن مرتبطاً بالجوهر وبصفتيه اللتين هما الامتداد والفكر، حيث إن "الإنسان مركب من حال امتدادي هو جسمه، ومن حال فكري هو نفسه، الجسم آلة مؤلفة من آلات والنفس فكر الجسم أي فكرة موضوعها الجسم الموجود بالفعل، فهي تبدأ وتنتهي مع الجسم، وعلتها خارجة عنها تلتمس في أحوال أخرى من الفكر مقابلة الأحوال الامتداد التي هي علة الجسم، والإحساس ظاهرة جسمية، أما الإدراك فظاهرة فكرية "[1].

أما بالنسبة للقوانين الطبيعة للفكر فهي قوانين "التداعي أو الترابط، تشبه قوانين الحركة في الامتداد وفكرة النفس عن ذاتها، وفكرتها عن جسمها وفكرتها عن الجسم الخارجي، فكرات غير مطابقة، لأن النفس وجسمها والجسم الخارجي أحوال متناهية عللها في غيرها من الأحوال المتناهية، فمن شأن طبيعة الإنسان المتناهية ان تدعه غير معقول عند نفسه، وهو إنما يعقل ذاته بردها إلى النظام الكلي السرمدي، واعتبارها جزءا من الجوهر الأوحد" [2].

* البديهية الأولى: "لا تنطوي ماهية الإنسان على الوجود الضروري، أي أنه يجوز، وفق نظام الطبيعة، أن بوجد هذا الانسان أو ذاك، أو أن لا يوجد". أنظر: – سبينوزا، علم الأخلاق، المصدر السابق، ص87.

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، المرجع السابق، ص119.

[2] المرجع نفسه، ص120.

وهذا لا يعني أن بين الإنسان والجوهر وحدة، أو قد تكون طبيعة الجوهر هي نفس طبيعة الإنسان. فالإنسان يعقل ذاته بردها إلى النظام الكلي السرمدي، واعتبارها جزءاً من الجوهر الأوحد وهو (الله)، وعلى هذا النحو يكون تصور الطبيعة البشرية وخاصيتها. إذ إن الإنسان مركب من (جسم ونفس)، أي من حال حاضر للامتداد، ومن حال حاضر للفكر يتمثل في فكرة هذا الجسم، ونحن نلتمس جهد سبينوزا الواضح في وسط هذه الآلية الكلية فردية جسم من الأجسام، هي فردية آلية، حيث تنظم العلل الخارجية مختلف أجزائها على نحو تتناقل معه الحركة فيما بينها وفق نظام ثابت والفرد نفسه مركب من الآلات أخرى. فجسم الإنسان إذن يمثل آلة شديدة التعقيد ومركبة من الآلات مختلفة لكل آلة لها وظيفتها الخاصة بها [1].

فالعقل مثلاً هو الذي يكون نفسه ويكون الجوهر الأبدي للجسد معرفة مناسبة بالله وبكل ما ينجم عن ذلك. وبالتالي يصبح سبباً مناسباً للمعرفة فيكون الفيلسوف واع لذاته والله والأشياء وهذا يعني أن الجسم والذهن اللذان يؤسسان الإنسان هما حالان يترتبان على صفات الجوهر الفرد المطلق اللامتناهي، فعند وصولنا إلى الجسم وإلى الذهن فإننا لا ننفصل عن الجوهر ولا تنقطع صلتنا به، أي أن سبينوزا يعتقد أن الله ينتج في كل الصفات الخاصة بالجسم وبالذهن في الوقت نفسه وبالكمال نفسه دون فرق أو تفاوت في إنتاجاته فالمساواة هي الركيزة الأساسية في فلسفته [2].

من خلال هذا كله توصل سبينوزا الى التصميم الهندسي لتركيب الإنسان وبناءه في ظل (الله) أو الجوهر فما ذكرناه سابقاً ينطبق على ما يلي:

إن الأشكال الهندسية هي الأشكال التي تطرح مشكلة خاصة، فهي وبكل المعاني تمثل تركيبات وليدة (للعقل) والتجريد وتكون كلية، فهي في البداية تتحدد بخاصية مميزة، إذ هي موضوع قياس وأن هذا القياس دائماً ثانوي وتابع حالة كحال العدد. أشكال تتضمن عدماً. ذلك

[1] سالي محسن لطيف، أنماط التفكير الهندسي وحضورها في فلسفة سبينوزا، المرجع السابق، ص 595.

[2] المرجع نفسه، ص ص595-596.

يمكننا أن نجدن علة تامة لوجود الأشكال الهندسية على عكس الموجودات العقلية الأخرى التي تظل دائماً جاهلين بعللها الحقيقة ومعنى هذا أن كل شكل هندسي هو نمط عقلي يكون صيغة فكرية عن شكل ما، وبالتالي يتحدد بخاصية معينة تكون موضوع قياس، لكن يظل هذا القياس ثانوي لأنه مرتبط بعلة الوجود الأولى وهو (الله)، إذ إن كل الأشكال الهندسية نابعة منه وعقولنا تبقى معرفتها جاهلة بعلتها الحقيقية [1].

أن عقل الإنسان يمكنه الوصول إلى أي حقيقة كانت وذلك من خلال مضاعفة قواه العقلية وذلك من أجل تحقيق أعمال عقلية أخرى مختلفة ويستطع أن يستخرج من داخله أدوات جديدة تساعده في البحث أكثر وبطرق مختلفة ويبقى يسير على هذه الخطى إلى غاية بلوغ الحكمة لأنه متى وجدها فهو أحق بها لأنه سعى ورائها جاهدا.

فالعلم الذي يصل إليه الإنسان هو القوة والحرية، والسعادة الدائمة تكون في طلب المعرفة ولذة الفهم، بهذا يكون نمط حياة الإنسان أثناء طلبه للحقيق وسعيه وراءها من خلال قواعد سلوك يتبعها ويجعلها نظام حياة، وهذه القواعد حسب رأي سبينوزا هي: [2]

1. أن يكون حديثنا في مستوى عامة الناس، أي يتحدث بصيغة يفهمها جميع الناس وأن نلبي رغباتهم، وبهذه الطريقة سنجد أنفسنا آذان صاغية للحقيقة.

2. أن تتمتع بملذات الدنيا وحيث هذه المتعة لا تؤثر على صحتنا.

3. أن لا نرغب في المال ولا في أي خيراً آخر إلا بقدر ما يفيد حياتنا وصحتنا وفي الامتثال لطبائع المجتمع.

من خلال هذه القواعد يمكن إصلاح العقل وجعله قادر على إدراك الأشياء إدراكاً يسمح لنا ببلوغ الهدف المنشود. والهدف هو الوصول إلى السمو وإلى مستوى الكمال.

---

[1] المرجع نفسه، ص 596.

[2] سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، المصدر السابق، ص 31.

ونستمر في الحديث عن كيفية إصلاح العقل والذات الانسانيةّ ، فيطرح لنا سبينوزا ضروب من المعرفة يحصل عليها الإنسان لكي تساعده في مثل هذا الإصلاح وهي متمثلة فيما يلي:[1]

1. يوجد إدراك مكتسب من خلال السماع أو بواسطة علامة اصطلاحية تواضعية.

2. يوجد إدراك مكتسب عن طريق بالتجربة المبهمة أعني بتجربة لا يحددها العقل، وهي تدعى كذلك لأنها حدثت اتفاقاً فلم تكذبها أية تجربة وبقيت راسخة فينا.

3. يوجد إدراك تستنبط فيه ماهية بعض الأشياء من أشياء أخرى، إلا أن ذلك لا يتم بصورة مطابقة. مثلما يحدث عندما نستنبط من المعلول علته، أو عندما نخرج بنتيجة انطلاقا من بعض الكليات المصحوبة دوما ببعض الخصائص.

4. يوجد أخيرا إدراك للشيء بماهيته وحدها أو من خلال معرفة علته القريبة.

إذن سبينوزا يحاول أن يعرض لنا نمط جديد في التفكير الهندسي تتمثل بإصلاح العقل من خلال إصلاح الإدراك، ويكون ذلك من خلال الخروج من النوع الأول من المعرفة الذي يبدو للمظهر فيه قوة القانون، والارتقاء إلى النوع الثاني العقلاني الذي لا يتجاوز مرحلة الأفكار العامة، ومن ثم الوصول إلى النوع الثالث حيث تتفتح المعرفة الحدسية للجوهر في ظل وحدة الأفكار المناسبة التي تكونها عن أنفسنا وعن الله وعن البقية. إذن المنهج الهندسي هنا هو منهج ترقي المساري نحو الحكمة التي هي وحدت الفلسفة والحياة. فهو صيرورة تحرير وتصحيح لنظرتنا وطريقتنا في الحياة والوجود.

ونصل من هنا إلى أن الذهن الإنساني هو جزء لا يتجزأ من الفكر الذي هو من صفة من الصفات اللامتناهية لله، فالمعرفة الذهنية عند سبينوزا متعلقة بالجسم، إذ إنها لا تقوم إلا على انفعالات الجسم، حتى وإن كانت هذه الانفعالات مغلوطة وملتبسة. يلتحق الذهن

[1] المصدر نفسه، ص 32.

السبينوزي بالجسم كي يستقي منه مادته الخام، لكي يقترف منه معونة الذي يحق له ويبلوره على شكل معرفة مطابقة، وذلك لأنه "يمكن أن يطرأ على الجسم البشري العديد من التحولات وأن يستبقي مع ذلك انطباعات أو آثار الأشياء وبالتالي صور الأشياء ذاتها.[1]

وكل هذه التحولات هي نتيجة الرغبة في اتجاه فعل شيء ما وهذا الأخير يسبقه دائما دافع ونزوع الى لكي يتحقق وجود تلك الرغبة، وأي شيء يريد فعله أي شخص يكون من وراءه دافع وعند تحقيقه ينتقل إلى حالة أعلى من الكمال.

خلاصة الفصل الثاني:

ما نخلص إليه في نهاية هذا الفصل أن "سبينوزا" اعتمد في نظامه الفكري نمطاً هندسياً جعله المنهج المتبع في صياغاته الفلسفية، حيث تبنى مبدأ ميتافيزيقياً يبدو موضوعه حول الله والطبيعة على أساس أن الله هو المنبع الأساس لكل الموجودات في الطبيعة، ومن خلال هذا المنهج استطعنا أن نتعرف على أسسه وأهم العناصر المشكلة له سواء كانت تعريفات أو بديهيات و براهين، وكذلك توصلنا إلى مختلف أنماط التفكير الهندسي عند سبينوزا المتمثلة في الله وأصل الانفعالات وحرية الانسان ، بالإضافة إلى التعرف على الغاية الأسمى من وراء هذا المنهج الهندسي ألا وهي البحث عن الغاية الأخلاقية السامية، بحيث كان سبينوزا من بين الفلاسفة التواقين منهم الى حرية الفكر ويعتبر الوحيد الذي استخدم المنهج الهندسي بنجاح ووصول الى ما يريد من تحقيق غاية الكمال.

[1] سالي محسن لطيف، أنماط التفكير الهندسي وحضورها في فلسفة سبينوزا، المرجع السابق، ص 598.

الخاتمة

الخاتمة

وفي الأخير وتأسيسا على ما تقدم، من معلومات يتضح أنّ المنهج الهندسي عند سبينوزا هو منهج استنباطي، لأنّ الفلسفة تحتاج لهذا المنهج العلمي ويعتقد سبينوزا أن القضية لا يظهر صدقها ووضوحها ويقينها إلا إذا ظهرت كجزء من نظام استنباطي متكامل مع بعضه البعض حيث أن كل قضية تتصل بالقضايا الأخرى وترتبط بها ويقوم المنهج الهندسي على نوع من المعرفة العقلية الحدسية التي تدرك الشيء بماهيته أو بعلته القريبة مثل معرفة خصائص شكل هندسي لمعرفة تعريفه.

وبالنسبة لسبينوزا فإنّ حقيقة الأفكار الصحيحة يجب أن تكون واضحة وصادقة، من أجل الوصول إلى الفكرة الصحيحة. وفي الوقت الذي كان فيه المنهج الهندسي المنهج العلمي الأكثر وضوحا، اعتقد سبينوزا أنّ المنهج الهندسي الذي يبدأ مع تعريفات وبديهيات ثم ينتقل من فرضية إلى أخرى يمكن أن يقدم صورة للعالم عن طريق نموذج منظم ومنطقي حين يوفر القوانين الضرورية لإدراك الأشياء وفقا للنتائج المتسلسلة للقضايا الفلسفية على الشكل الرياضي.

من خلال ما سبق ذكره، توصلنا في نهاية هذا البحث إلى النتائج التالية:

- ✓ أن المنهج الديكارتي يقوم على دعامتين: الحدس والاستنباط، حيث يقدم الحدس حقائق بسيطة ويقينية، ثم يقوم الاستنباط بالاعتماد عليها، وقد وضع ديكارت أربع قواعد لمنهجه وهي قاعدة البداهة والوضوح، قاعدة التحليل قاعدة التركيب وقاعدة الإحصاء والمراجعة.
- ✓ إن القاعدة التي انطلق منها سبينوزا وأسس عليها منهجه العلمي تعود بالدرجة الأولى إلى النهاية التي انتهى منها روني ديكارت في منهجه وهي التي شكلت جل أفكار منهج سبينوزا في تكوين منهجه الهندسي. إن البناء العلمي للمنهج الهندسي كان على شكل تعريفات تحتاج إلى بديهيات ومسلمات مدعومة بقضايا مطالب البرهنة عليها، هكذا كان شكل البناء الهندسي للمنهج عنده

- ✓ الملاحظ للمنهج الهندســـي عند ســـبينوزا، أنه قد اســـتهل مؤلفه بجملة من التعريفات ومجموعة من البديهيات وكذلك قضـــايا قابلة للبرهنة عليها رياضـــياً بالخلف أو التراجع، ويظهر هنا أنه قد تأثر بالعالم الرياضي إقليدس وأنّ جميع القضايا هي ذات مبدأ رياضي قبل كل شيء.

ومن ضـمن تصـميم سـبنوزا الهندسـي أنه أوجد ذلك العالم المواز بين (الله) والطبيعة، فالله هو العلة الأولى وهو في حياتنا اليومية مدبر كياناتنا الاخلاقية.

- ✓ أكد ســبينوزا على أهمية العقل الذي لديه القدرة على الفهم والوعي وعلى معرفة (الجوهر) وأيضـاً لديه القدرة على التسـامي والترفع عن الرذائل والشـرور للوصـول إلى ذلك الانسـان الكامل وبالتالي الوصـــول إلى الســـعادة، وهذا يعد نمطاً هندســـياً للتفكير الذي هو غاية ومنتهى سبينوزا.
- ✓ بما أن العالم بوصـــفه الطبيعة المطبوعة انبثق من (الله) الطبيعة الطابعة، هذا يعني أن هذا الانبثاق يمثل جزءاً من الابدية (اللانهائية) وهي بهذا تكون صـفه من صـفات (الله). وقد طبقها على النفس الانسـانية وانفعالاتها وتحولاتها وهي جزء من المعاملات الاخلاقية اليومية التي يتعامل معها الانسان بحياته اليومية.
- ✓ يكون النمط الهندســي الخاص بالإنســان على أســاس ان الانســان ليس جوهراً وانما جزءاً من الوجود الذي أوجده الجوهر. أي انه يتكون من فكر وامتداد أي نفس وجســـم. وأودع فيه القدرة على تنظيم الحالة النفســـية من خلال العقل والحالة الجســـمية من خلال تنظيم الغرائز.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، د س.

2. سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة جلال الدين سعيد، الجنوب للنشر، تونس، (د، س).

3. سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

ثانيا: المراجع

1. إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، د. ع ط. 2000م.

2. اندرية كارسيون، المشكلة الاخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحميد محمود، مهرجان القراءة للجميع.

3. جلال الدين سعيد: سبينوزا والكتاب المقدس: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ت ط، 2017م.

4. الحاج دواق، الضرورة والحرية، قراءة في فلسفة سبينوزا، منشورات الإختلاف. الجزائر، ط 1، 2016م.

5. راوية عبد المنعم عباس، د. صفاء عبد السلام جعفر، مذاهب فلسفية حديثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ع ط، 2003م.

6. زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، 1936.

7. شاخت ريتشارد تر حمدي محمود أحمد، رواد الفلسفة الحديثة، مطابع الهيئة المصرية العامة، مصر، 1998.

8. عطا الله سيد، باروخ سبينوزا، مكتبة زهران للطبع والنشر والتوزيع، مصر، د س.

9. فؤاد زكريا، إسبينوزا، دار الوفاء الدنيا، إسكندريا مصر، ط 1، 2008م.

10. ول ديورانت، قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف بيروت، ط 6، 1988.

11. وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، ط 01، التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2010.

12. ياسين خليل، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ط 2، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 2012.

13. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012.

ثالثا: الموسوعات والمعاجم

1. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2004.

2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، 1982.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ– هـ

الفصل الأول: الفيلسوف باروخ سبينوزا حياتــه وفلسفتـــه 6

المبحث الأول: نبذة عن حياة الفيلسوف باروخ سبينوزا.....8

المطلب الأول: سيرته وتاريخه.....8

المطلب الثاني: مؤلفاته.....11

المبحث الثاني: فلسفة سبينوزا 17

المطلب الأول: نسق سبينوزا الفلسفي 17

المطلب الثاني: الفلسفة الدينية والسياسية والاجتماعية.....20

الفصل الثاني: الأخلاق ودراستها على الطريقة الهندسية 24

المبحث الأول: تأسيس الأخلاق عند سبينوزا 26

المطلب الأول: مفهوم الأخلاق عند سبينوزا 26

المطلب الثاني: العقل والأخلاق لدى سبينوزا 28

المبحث الثاني: بناء المنهج الهندسي عند سبينوزا.....32

المطلب الأول: أسس المنهج الهندسي 32

المطلب الثاني: العناصر المشكلة للنسق الهندسي عند سبينوزا 34

المبحث الثالث: الأخلاق مبرهنا عليها على النهج الهندسي 39

المطلب الأول: أنماط التفكير الهندسي وحضورها في الله والعالم.....39

المطلب الثاني: النمط الهندسي للإنسان وتغير الذات.....42

الخاتمة.....49

قائمة المصادر والمراجع.....53

الملخص:

لقد عالج سبينوزا في كتابه الأهم علم الأخلاق الأفكار التقليدية عن الله والإنسان والمعرفة وكذا الانفعالات والمشاعر وطريق الوصول إلى الفضيلة والسعادة، حيث رأى أن الله والطبيعة واحد فالله هو الطبيعة والطبيعة هي الله، أما بالنسبة للإنسان فحسب سبينوزا لا وجود لجوهرين منفصلين، لأن الفكر والامتداد تجليات لكينونة واحدة هي الله، ولأن الهندسة كانت في عصر سبينوزا هي الأنموذج الأكثر وضوحا ودقة، فقد اختار المنهج الهندسي لعرض أفكاره بوجه عام والبرهنة على الأخلاق بوجه خاص.

Summary:

In his most important book, Ethics, Spinoza dealt with traditional ideas about God, man, knowledge, emotions, feelings, and the path to virtue and happiness. He saw that God and nature are one; God is nature and nature is God. As for man, according to Spinoza, there are no separate substances, because thought and extension are manifestations of one entity, which is God. And because geometry was, in Spinoza's time, the clearest and most precise model, he chose the geometric method to present his ideas in general and to prove ethics in particular.